الإسْلامُ المُغَيَّبْ

(مَنهج الشَّيْخ النَّيّل أَبُوقرون في فهم الإسلام المحمّدي)

(الجُزء الأوَّل)

اسم الكتاب: الإسلام المغيَّب : (مَنهج الشَّيْخ النَّيّل أَبُو قرُون في فهم الإسلام المحمّدي).

الجُزء: الأوَّل- 2022

إعداد: المكتب الإعلامي في السودان وبريطانيا

ملاحظة: تمّ إعداد هذا الكتاب بصيغته الالكترونية من أجل نشره "مجاناً " لكلّ من يرغب في معرفة منهج الشيخ النيّل أبو قرون في فهم الإسلام المحمّدي.

للمزيد من المعلومات عن الشيخ النيّل أبوقرون تجدونها في الموقع الالكتروني الخاص به:

www.abugroon.com

فهرس الكتاب

مفتتح

هذا هو الجزء الأول من سلسلة كُتبٍ تتناول المنَّهج التَّجديديّ للشَّيخ النَّيّل أبو قرون، المُفكّر السّوداني، وربيب التصوّف العرفاني، عبر ما يزيد عن نصف قرنٍ من تأمّلاته الخاصّة، وتدبّره العميق، وانشغالاته الكثيفة في فهم النَّص القرآني، ومراجعة ما وصلنا من التراث الإسلامي في الحديث والتّفسير والسّيرة بكلّ جُرأةٍ، مُستنداً في كُتبه إلى ميزانٍ دقيقٍ، سهلٍ في ظاهره كما يبدو، وفي الآن نفسه عميق، وقد يقول قائل إنَّ المسلمين جميعاً يستندون إلى ذلك أيضاً، أي قداسة النَّص القرآني، وعصمة النَّبيّ العظيم، لكن القول شيء، والحقيقة شيء آخر، فأطنان الكُتب الَّتي وصلتنا في الفِقه والتفاسير والأحاديث والمغازي والسّير تُظهر أموراً أخرى، ساهمت في تشتيت الأمَّة، وهجر ترتيل القرآن الكريم وتدبّره، وأساءت إلى المسلمين أنفسهم فيما نسبوه من الإتهامات إلى النَّبيّ الكريم، صلى الله وبارك عليه ووالديه وآله.

يرى الشَّيخ أنَّ النصَّ القُرآني مُقدَّس، لكن فهمه غير مقدَّس، وأنَّ ما وصلنا من التفاسير جُهد بشريٌّ قابل للصّحَّة والخطأ، وأنَّه قد يكون وُضع بسبب من ضغوطِ القادة والسَّلاطين، وأهواء الفقهاء والمُفسّرين، وانحيازهم إلى مذاهبهم الضيّقة، والدليل على ذلك وجود ما يزيد عن المائة من كُتب التَّفسير، سواء منها القديم أو حتى ما كتب في هذا العصر، وبالتالي فما دام أنَّها اجتهادات بشريَّة فهي غير مُلزمة، ولا تأخذ قداسة النَّصّ القُرآني نفسه أبداً.

أمَّا المَسألة الأخرى، فهي ما يتعلَّق بما وصلنا من الأحاديث الشَّريفة، فإنَّه من المَعروف أنَّ ما يُسمَّى بكتب الصِّحاح، قد وضعت في عصور لاحقة على العصر المحمَّدي، وضمن ظروف سياسيَّة مُتشابكة، رحل فيها رجال العصر النَّبويّ الأوّل، وقُتل فيها من قُتل من آل البيت الكرام ومن الصَّحابة المرضيّين، ودخل في الإسلام الكثير من المنافقين والطُّلقاء وأعداء الدّين، لذلك فإنَّ الاحتجاج بالأحاديث على عواهنها، وقبولها على أساس أنَّها صحيحة السَّند لا يكفي، بل لا بدَّ من ميزان لتقييمها، وغربلتها، فلا بدَّ من عرضها على القرآن الكريم

وعصمة النّبي العظيم، فإنْ وُجد أيّ تناقض بين الحديث وما جاء في القرآن، أو وجد فيه طعن في العصمة لا يتمّ الأخذُ بهذا الحديث أبداً.

ثم يمكن أيضاً غربلتها بعرضها على عِصمة الأنبياء السَّابقين، وأخلاقهم العالية، فإن وجد فيها ما يطعن في مسيرتهم أو يجرح في أخلاقهم لا يتمّ قبولها كذلك.

لذلك فإنَّنا نرى أنَّ كلَّ ما نسب للرسول من قول وفعل وإقرار في حياته ولم يناقض القرآن وعصمة النبي، يمكن قبوله والتأسّي به. وكلُّ متتبّع للأحاديث يرى أنَّ كثيراً منها منقولة بصياغات لغويَّة مُتباينة، ودلالات متناقضة، وفيها إشكاليات في السند أيضاً، عدا عن المتن، فكيف نأخذها كما هي دون تمحيص أو عرضٍ على القرآن والأخلاق المحمَّدية العظيمة..؟!.

إذا بدأنا بتطبيق هذا المنهج في تمحيص الإرث الإسلامي الشائك للعودة إلى المربَّع الأوَّل للإسلام، نُدرك أنَّنا وضعنا أنفسنا على الطريق الصحيح. فقد أدَّى النَّبيُّ العظيم الأمانة، وبلَّغ الرسالة، فلماذا تفرقت الأمَّةُ من بعده وأصبحت شِيعاً وأحزاباً ومذاهب ما أنزل الله

بها من سُلطان، إنْ هي إلا اجتهادات من الفُقهاء والنَّاقلين، لهم أجرهم وعليهم وزرهم، لا عصمة لأحدٍ منهم أبداً، ويُؤخذُ منهم ويُردُّ، مهما بلغت ألقاب التَّفخيم الَّتي أحيطوا بها، مثل شيخ الإسلام، وإمام الأُمَّة ..الخ،

لقد عانى الشَّيخ النَّيّل وما يزال من فُقهاء الظلام، وشُيوخ الفتن، والمؤسسات الَّتي تحتكر الدّين، وتدَّعي تمثيلها لله تعالى لأنَّ منهجه المُحمَّدي الواضح والصريح، والمُستند كما أشرنا على تدبّر القُرآن العظيم وترتيله، أي جمع كل موضوع تضمنه في رتلٍ واحدٍ، وإلى عصمة النَّبيّ الكريم، يُعيد الأمَّة كلَّها إلى النَّبع الرَّقراق الأصيل لدين الإسلام، الذي هو كافَّة للناس، ودعوة لصالح الأخلاق التي تشيع المحبة والسلام بين الناس، ويُريح النَّاس اليوم من حمأة الإختلاف والتحزب والتَّكفير، والتَّقتيل، ومُصادرة حُريَة الفِكر، وينتصرُ لثقافة الحُبّ، والحَياة الفُضلى، والتَّعامل الأخلاقي الراقي بين البشر، دون ظلمٍ ولا ظلاميّة. وسيجد القارىء لهذا الكتاب الآراء الَّتي وردت في مؤلفات الشَّيخ السابقة، وأفكاره الشَّفويَّة، وتعاليمه المُباشرة

للأحباب والتلاميذ المُقرَّبين، سواء في الإيمانيات أو تفاصيل الحياة، ولعلَّ من يُطبّق منهجه السهل هذا يجد في نفسه راحةً أكيدةً، ويُصبح تعامله مع النَّاس من حوله إيجابياً، ويكون مُتصالحاً مع ربّه أيضاً عبر العبادة التي تقوم على الحبّ، لا عبادة التُجَّار بحثاً عن مكافأةٍ ماديّةٍ، ولا عبادة العبيد الَّتي تقوم على الخوف من العِقاب، وقد قال الشَّيخ النَّيَل مرَّة في إحدى قصائده:

"وكلُّ عبادةٍ تُؤتى بلا حُبّ فإتيانها ذنبٌ ما بعده ذنب".

إنَّ البشرية اليوم أحوجُ ما تكون لِمثل هذا المَنهج المُحمَّدي الذي تمَّ تغييبه طويلاً، وتوقَّف تطبيقه – بكلّ أسفٍ – بعد رحيل النَّبي الكريم مباشرة لأسباب يطول شرحها، إذْ تمَّ اختطاف الدّين الحَقيقيّ، وحبسه في غياهب التاريخ والجُغرافيا والتَّطرُّف، لصالح إقامة دولة سياسية قوميَّة ودكتاتوريَّة ووراثيَّة لاحقاً، على أساس أنّها تمثّل "الخلافة الراشدة"، ولقد كان القرآن واضحاً في تحذير "الذين آمنوا"

من أتباع النّبي الكريم من الإنقلاب على رِسالته[1]، إذ تمّ تحييد النَّبيّ بعد رحيله، أي فصل الرّسالة عن الرَّسول[2]، لا بل الإساءة إليه وإلى أهل بيته وتعاليمه فيما وصلنا من مرويَّات حتى لا تميل القلوب لمحبّته، لكي يصبح النّبي مثل الآخرين من أتباعه يصيب ويخطئ، كما أشيع أن دروه قد انتهى بعد تبليغ رسالته. وقد آن الأوان أن تستيقظ البشريَّة على معرفة الحّقيقة المُحمَّديَّة السَّامية، ذات التعاليم الأخلاقيَّة العالية، وتأخذ بهديها، وتُعيد تفعيلها في العالم كلّه.

والذي نراه أنَّ هذا المنهج مفتوح للناس كافَّة، لا يمكن وضعه في حزبٍ ضيّقٍ ليمثّله، ولا حشره ضمن مذهب مُعيّن مُغلق، ولا جماعة سرّيَّة حتى يكون مخفيّاً، ولا يؤمن من يتبنَّاه بأن نشره يكون بالقوَّة أو بقتل

---

[1] وَمَا مُحَمَّدٌ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىَ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ (آل عمران- 144).

[2] أورد البخاري عن عائشة أن أبا بكر قال: "... من كان يعبد محمداً فإنّ محمداً قد مات .."

الناس أبداً، فالحقُّ يحمل قوته وأنواره في داخله، وبذلك يكون جاذباً بطبعه، ومن يتبنَّى مكارم الأخلاق ينسجمُ مع البشريَّة جمعاء في الانتصار للإنسان، والإعلاء من قيم الخير والسَّلام والمحبَّة بين الجميع، ويكون أيضاً مُتصالحاً مع مُكونات الحياة الأخرى من حيواناتٍ وجماداتٍ ونباتات، ومع المجتمعات الَّتي يعيش فيها حتى إن لم تكن تتبنّى رسالة سماويَّة، إذ إنّ المواطنة والقوانين المرعيَّة في هذه الدول أو المجتمعات كفيلة بحفظ سلامة الناس في أنفسهم وممتلكاتهم وتنظيم معاملاتهم، وبالتالي فإنَّها توفر الحدّ الأدنى من القيم والأخلاق، ويجب احترامها.

سيلاحُظ قارىء هذا الكتاب أنَّ موضوعاته جاءت مُباشِرة، بعباراتٍ واضحةٍ، وأسلوب رشيق حتَّى لا يتمّ الإثقال عليه باللغة ومحسّناتها البديعية أو بالأسلوب الرمزيّ، ولكي يصل إلى المعاني مباشرة، إذ لا تحتمل الموضوعات الكثير من التَّأويل أو التَّقويل، وحتَّى لا يتدخَّل "فُقهاء المستقبل" في تأويلها بطريقتهم، فإن شاء القارىء الاستزادة في موضوعٍ مُعيَّن، سيجد كُتب الشَّيخ مُفصَّلة وشارحة، وإن شاء

الاكتفاء بما في هذا الكتاب، فإنَّ فيه الزاد الكثير، والمَعنى الوفير، والإشارات الوافية، والعبارات الكافية لكلّ من فتح قلبه للمعرفة وعقله للتدبّر.

والله نسأل التوفيق، وصلى الله على سيِّدنا مُحمَّد وبارك عليه ووالديه وآله.

هل أرسل الله أكثر من دين؟

أرسل الله تعالى الرسل بدين واحد منذ آدم عليه السلام إلى مُحمّد صلى الله وبارك عليه ووالديه وآله، وأطلق على هذا الدين اسم "الإسلام"[3]، ففي الحقيقة لا يوجد إلا دين واحد، ولكن برسالات مُتعدّدة حسب أحوال الأمم السابقة، وطبيعة الرسالة، لهذا لا يمكن القول بوجود أكثر من دين مُعترف به نزل من عند الله تعالى، فالله سُبحانه واحدٌ أحدٌ، ودينه واحدٌ، جوهره ثابت لا يتبدَّل وهو صالح الأخلاق، فالإسلام إذن ليس حِكراً على أصحاب الرسالة المُحمَّدية الخاتمة، بل كلُّ من سبقهم من أصحاب الرسالات السماويَّة كانوا

---

[3] إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ ۗ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِن بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ ۗ وَمَن يَكْفُرْ بِآيَاتِ اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ (آل عمران - الآية 19).

يدينون بالإسلام[4]، وهذا جليٌّ بالنَصوص الصَّريحة الَّتي أوردها الله تعالى في القرآن الكريم.

"الإسلام" يعني التسليم التَّام، أي القبول الصَّريح وعن طيب خاطرٍ وقناعةٍ تامَّة بهذا الدّين، والقيام بتعاليمه الأخلاقية وما أورده من عبادات تجعل الإنسان مسلماً، فيسلم الناس من أذى طويّته ولسانه ويده، فيصير مؤمناً أي محبَّاً لله ورسوله فيأمن في الدنيا والآخرة، فيأمنه الناس على أموالهم وأنفسهم. وهذا الدّين يأتي عن طريق الرسل الكرام، لهذا فإنَّ جوهره كما أسلفنا واحد، وربَّما تعاليمه في العبادات والمعاملات تختلف قليلاً من رسالة إلى أخرى، حسب ما يوحي الله تعالى به للرسل من شرائع، نتيجة الظروف المختلفة لكلّ قوم، وطبيعتهم الَّتي نشأوا عليها، والجُغرافيا التي تأويهم، وقد أخبر الله سبحانه بأنَّ الدّين الذي جاء به نوح عليه السلام هو دين

---

[4] قُلْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ عَلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَالنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ (آل عمران - الآية 84).

الإسلام، وكذلك إبراهيم، وموسى، وعيسى[5]، وكلّ الأنبياء عليهم السلام.

أما الاختلافات التي نراها اليوم بين أصحاب هذه الرسالات المُتعدّدة ذات الجوهر الواحد فهي بسبب ما قام به أتباع كلّ نبيّ ممَّن لم يكن الإيمان قد تمكَّن في قلوبهم من إضاعة لهذا الدّين، وتحريفه عن منهجه القويم، واتّباع الشهوات، وما إلى ذلك بحيث اتّسعت الفجوة، لهذا يأتي كلُّ نبيّ ليذكر قومه برسالة أخيه الذي سبقه، ويعيد الناس إلى الصّراط المستقيم الذي ضلّوا عنه.[6]

---

[5] شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِيٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ وَمَا وَصَّيۡنَا بِهِۦٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓۖ أَنۡ أَقِيمُواْ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُواْ فِيهِۚ. الشعراء 13.

[6] كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِۚ وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِن بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ بَغْيًا بَيْنَهُمْۖ فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِۗ وَاللَّهُ يَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ (البقرة – الآية 213).

ما هي رسالة الإسلام المُحمَّدي؟

جاءت الرسالات السابقة لأقوام محدَّدين، وضمن ظروف معيَّنة، وفي جغرافيا معلومة، ولم يذكر القرآن كلَّ أصحاب الرسالات بل أشار إلى بعضهم[7]، وجاءت بعض هذه الرسالات لتصحيح ما سبقها حيث ساهم أتباعها في تحريفها عن مقاصدها الأصليَّة كما أسلفنا، فالرسالة المُوسويّة إلى فرعون كانت من أجل إخراج بني إسرائيل من المنطقة التي كانوا يعيشون فيها تحت ظلمه، وتخليصهم من العبودية[8] بشكل أساسي، وبعد أن يتمّ ذلك تُعرض عليهم تفاصيل الرسالة من الإيمان بالله، ومنهج الأخلاق في المعاملات والتشريعات التي تحفظ الحقوق وغيرها، وبالنسبة لرسالة نبيّ الله لوط عليه

---

[7] وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَرُسُلًا لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ (النساء – الآية 164).

[8] فَأْتِيَاهُ فَقُولَا إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَا تُعَذِّبْهُمْ قَدْ جِئْنَاكَ بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكَ وَالسَّلَامُ عَلَىٰ مَنِ اتَّبَعَ الْهُدَىٰ (طه – الآية 47).

السلام فهي من أجل تطهيرهم من الفواحش في أعمالهم، التي لم يسبقهم إليها أحدٌ من العالمين، وكانوا أيضا ضمن جغرافيا محدَّدة[9]، والرسالة العيسوية جاءت من أجل تصحيح ما انحرف به أصحاب الرسالة الموسويَّة التي سبقتهم ومن غلوّهم في الدين[10]، وهكذا، أما الرسالة المُحمَّدية فقد جاءت للنَّاس كافَّة[11]، ورحمة للعالمين[12]، وخاتمة لكلّ الرسالات السابقة، ومُصحّحة لبعض ما بدّل أصحابها، ومُتمّمةً لهدي دين الاخلاق الذي أتى به كلُّ الرُسل عليهم السلام،

---

[9] وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ الْعَالَمِينَ (العنكبوت – الآية 28).

[10] وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَلِأُحِلَّ لَكُم بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ ۚ وَجِئْتُكُم بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ (آل عمران – الآية 50).

[11] وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ (سبأ – الآية 28).

[12] وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ (الأنبياء – الآية 107).

وبالتالي فهي مُهيمنة أي شاملة حافظة لما سبق[13]، إذ أنَّها تحتوي على جوهر الدّين نفسه، وذات تعاليم ميسَّرة ومُعتدلة في العبادات والمعاملات[14]، هدفها نشر صالح الأخلاق في العالم أجمع[15]، ومعرفة الله، ونبذ الشرك والكفر، وتصحيح التبدُّلات التي قام بها أتباع الرسالات السابقة أيضاً من تحوير وتبديل للكلم عن مواضعه، وإضافة ممّا ليس في الدين نفسه.

---

13 وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ (المائدة – الآية 48).

14 ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلْأُمِّيَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ ۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ. الأعراف 157.

15 "إنما بُعِثْتُ لأُتَمِّمَ صَالِحَ الأَخْلاقِ " مسند أحمد، والمستدرك على الصحيحين.

لهذا أقرّت هذه الرسالة برسالات الأنبياء السابقين وكتبهم[16]، وجعلت الإيمان بهم ركناً أساسياً، فكلٌّ من آمن برسوله واتَّبع الكتاب المنزّل على هذا الرسول فهو "مسلم"، وكلّ ما عدا ذلك يحتاج إلى الدخول في الإسلام بنسخته الأخيرة وبرسوله الخاتم، لأنَّه من ذات النبع النُّوراني الذي لا يخفى على كلّ مؤمنٍ من أيّ مِلَّة أو رسالة.

وجاء في هذه الرسالة المُحمَّديَّة أنَّ الإيمان يجب أن يتمّ عن قناعة وتسليم لا عن نفاقٍ أو مداهنةٍ أو إكراه، لهذا كان دور الرسول "البلاغ" فقط[17]، ودور الناس القبول أو الرفض بكلّ حريّة[18]، ومن يقبل بهذه الرسالة عليه بقبول تعاليمها في المعاملات والعبادات وإلى

---

16 إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَىٰ نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِن بَعْدِهِ ۚ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ ۚ وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُورًا (النساء – الآية 163).

17 فَإِنْ أَعْرَضُوا فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا ۖ إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا الْبَلَاغُ ۗ (الشورى – الآية 48).

18 لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ ۖ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ ۚ (البقرة – الآية 256).

غير ذلك حسب ما ورد في القرآن الكريم، أو ما ورد من سنَّة النبيّ العظيم، حسب الميزان الذي أشرنا إليه في مقدمة هذا الكتاب.

ضرورة الهجرة بحثاً عن الأمن والحريّة

إنّ حُرِّية الإنسان وسلامة نفسه وحرمتها رسالة من الله لكلّ إنسان وهي مفروضة عليه، ولا يعني ذلك نزول الوحي الجبرائيلي بهذه الرسالة على كلّ إنسان. فالرسالة الخاصّة للإنسان تكمن فيما أودعه الله فيه من حبّ الذات وغريزة البقاء الذي يولّد في الإنسان المحافظة على حياته وأمنه وحريّته، والإحسان إلى نفسه وغيره واجتناب الإضرار بنفسه أو غيره، لأنَّ الضَّرر حتماً سيعود إليه[19]، فمقصد هذه الرسالة هو تهيأة المحلّ الذي يتلقى تبليغ رسالة حسن الخلق التي جاء بها جميع رسل الله، فإن لم يكن المحلّ صالحاً للتبليغ بوجود الأمن والحرية فكيف يُبلّغ بهذه الرسالة، ويُقال له ﴿...فَمَن شَاء فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاء فَلْيَكْفُرْ...﴾. لهذا فرض الله على الإنسان المحافظة على حريّته وأمنه. فالله سبحانه عظَّم نفس الإنسان،

[19] إِنۡ أَحۡسَنتُمۡ أَحۡسَنتُمۡ لِأَنفُسِكُمۡۖ وَإِنۡ أَسَأۡتُمۡ فَلَهَاۚ. الإسراء 7.

وسخّر له ما في السماوات وما في الأرض جميعاً منه، وجعل التكريم له وتعهّده بلطفه، وتكفَّل برزقه دون شرط طاعته، لذا فرض عليه المحافظة على حرّيِته وأمنه وسلامته، ليكون له الاستعداد للنَّظر في الرسالة التي يبلغها رسل الله. ولا يكون البلاغ من الرسل لمجتمعٍ فُقِدت فيه الحريّة والأمن. إنّما تكون مهمّتهم في مثل هذه الحال مساعدة الناس لإدراك حريتهم المفروضة عليهم، ليكونوا أهلاً لتُعرض عليهم الشرائع لقبولها أو رفضها، لذا كانت رسالة موسى عليه السلام لإخراج بني إسرائيل من حُكم الطاغية.

وقد كان تعامل الرسول مع من يشرك بالله ويعبد الأصنام أن يأويه ويحميه من أن يُعتدى عليه حتى يبلغه مأمنه[20]، وذلك هو الأمر الأول في الرسالة، وهو توفير الأمن للإنسان وحفظه في نفسه، وتوفير الحرية له، وبعد ذلك حين يطمئن على حياته يُعرض عليه كلام الله ولا يُفرض عليه، وله كامل الحرية، فإن شاء قبله وإن شاء أعرض

---

[20] وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلاَمَ اللّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ.

عنه. ثم بعد ذلك يتمّ توفير الحماية له والحراسة حتى يبلغ المكان الذي يجد فيه الأمان لنفسه حتى إن لم يقبل ما عُرِض عليه.

أوضحنا من قبل أنَّ حريَّة الإنسان في قبول الدّين أو رفضه مكفولة بالنَّصّ القرآني، وأنَّ الرسالة الخاتمة جاءت من أجل رفعة الإنسان وضمان أمنه وحريته، وخلق المجتمع الفاضل الذي يقوم على مكارم الأخلاق، وأنَّ الله تعالى مدحَ النَّبيَّ محمَّداً في أخلاقه العظيمة كنموذجٍ يُحتذى وأسوةٍ حسنةٍ لكلّ العالمين.[21]
وإذا وَجدَ الإنسان العنتَ في حياته، ولم تتوفر له حرية القبول أو الرفض لأيّ فكرٍ أو دين، وخشي على سلامته وأمنه بسبب ممارسة حريّته الفكريّة وطقوسه الدينيّة، فإنَّ عليه أن يهاجر من البلد الذي

[21] وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ (القلم – الآية 4).

يعيش فيه بحثاً عن بلدٍ آخر تتوفَّر فيه عناصر الحريّة والأمن واحترام الإنسان.[22]

إنَّ فكرة اقتصار الإنسان على البلد الذي ولد فيه باعتباره وطنه الوحيد بجغرافيته المحدودة مسألة تحتاج إلى إعادة نظر، فالأصل أنَّ الأرض كلها وطن لبني الإنسان يتنقّل فيها حيث يشاء، ولا يتناقض ذلك مع محبته وتعاطفه مع وطنه الجغرافي الأول الذي ولد فيه.

إنَّ هجرة النبيّ صلى الله وبارك عليه ووالديه وآله من مكَّة حيث ولد إلى يثرب تندرج في هذا الإطار، فقد هاجر بحثاً عن أجواء من الحريَّة والأمن حتى يستطيع نشر دعوته، ثم إنَّه لم يرجع للعيش في مكة بعد فتحها، وظلَّ حتى وفاته في المدينة الَّتي احتضنت دِينه، وأخلصت له المحبَّة.

---

[22] إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا فَأُولَٰئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا (النساء - الآية97).

والذي نراه أنَّ الأرض كلّها ينبغي أن تكون مفتوحة لبني البشر للعيش فيها أو الهجرة إليها، ولا يحق لأحد أن يحرم آخر من أن يختار من البقاع ما يناسبه ما لم يكن في ذلك تعدّ على حقّ من حقوق الآخرين، فالناس سواسية بغض النظر عن أعراقهم ومعتقداتهم. وللدول السياسية ذات الجغرافيا المحدّدة حقّ القيام بضمانات للحفاظ على طبيعة مجتمعاتها وخصوصيّتها وثقافتها عبر القوانين الواضحة، وعلى أن تكون "المواطنة" هي المظلة التي تتّسع للجميع.

العلاقة مع أصحاب الرسالات الأخرى

كلُّ من يؤمن بالله تعالى ويتبع رسالة نبيّه وتعاليمه من أصحاب الرسالات السابقة فإنَّ العلاقة التي تجمعه مع أصحاب الرسالة المُحمَّديَّة الخاتمة هي الإيمان بالله ورسله وكتبهم المنزّلة دون تفريق بين أحدٍ من رسله، والتوافق على التعامل بمنهج الإخلاق، وهذه القواسم المشتركة كفيلة بنشر الاحترام والسلام، فلا يجوز إجبار أيُّ أحدٍ من أتباع هذه الرسالات على ترك رسالته لكي يتبع الرسالة المُحمَّدية الخاتمة، ولا يَجوز قتاله، أو تكفيره، ومسألة قبول هذه الرسالة منه أو عدمها هي من حقّ الله تعالى فقط يوم القيامة[23]، وليس لأحدٍ من البشر منح صكوك الغفران، أو الإدعاء بادخال النَّاس الجنَّة أو جهنّم، وينبغي على أصحاب الرسالة المُحمَّدية

---

[23] إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَىٰ وَالصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (البقرة – الآية 62).

الخاتمة أن يكونوا قُدوة للآخرين في أخلاقهم وتعاملهم وإيمانهم، بحيث يساهموا في جذب أصحاب الرسالات الأخرى لمحبَّة نبيّهم والإيمان به، دون مطالبتهم بترك ما هم عليه، وهذا يكون عبر الدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة[24]، أمَّا التكفير والتنفير والعداوة والبغضاء دون أيّ سبب، فقط لمجرد أنَّهم يتّبعون رسالةً أخرى فهذا ليس من الإسلام المُحمَّدي في شيء، ولنا في رسول الله أسوة حسنة، إذ احترم الذين آمنوا من أهل الكتاب، واستقبلهم في مسجده، وتزوَّج منهم السَّيدتين ماريا القِبطيَّة، وصفيَّة بنت حيي بن أخطب.

أمَّا في حالة الاعتداء فقط فإنَّه يتمُّ الردُّ عليهم بالمثل، لا على أساس محاربة دينٍ لدين، بل قوم معتدين لآخرين، فالدّين كما أسلفنا

---

[24] ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ ۖ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ (النحل – الآية 125).

واحد، وربُّ العالمين واحد أحد، والإيمان والكُفر مسألة متروك الحكم فيها لله تعالى، يوم الدّين، وليس للنَّاس في الحياة الدنيا.[25]

لقد أوضح الله تعالى في كتابه القويم طريقة التعامل مع المسلمين من غير المحمّديين مثل "الذين هادوا" و "النصارى" و "الصابئين" وأيضاً مع غير المؤمنين، أي الاخوة في الانسانية من شتّى الاعتقادات ممن لم يعتدوا عليهم أو يقاتلونهم في الدين من خلال البرّ بهم والمعاملة بالقسط[26]، وهنا يأتي البرّ كحالة عليا من التعامل والمودّة بهم ويذكر هذا ببرّ الوالدين، وأيضا ضمان أن يكون التعامل معهم بالعدل في الشؤون الحياتية، ومن يفعل ذلك أي ضمان البرّ في المشاعر،

---

[25] وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصَارَىٰ عَلَىٰ شَيْءٍ وَقَالَتِ النَّصَارَىٰ لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلَىٰ شَيْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ الْكِتَابَ ۗ كَذَٰلِكَ قَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ ۚ فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ (البقرة – الآية 113).

[26] لاَّ يَنْهَاكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓاْ إِلَيْهِمْ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ.(الممتحنة – الآية 8).

والإقساط في التعاملات سوف يضمن حبّ الله تعالى له والذي وعده للمقسطين.

طريقة التَّعامل مع غير المسلم

إذا كان الدّين المَقبول عند الله تعالى والمُنجي هو ما جاء به كلّ الرسل، أي "الإسلام"، فإنَّ بعض من لا يقبله قد يتَّخذ الكُفر ديناً له، وقد أوضح الله تعالى في سورة "الكافرون" أنّ الكفر دين. ومع هذه الفئة الرافضة لدين الله القويم يكون التعامل معها البلاغ لهم فقط عبر الحوار معهم، وليس تسليط "السَّيف" على رقابهم، فإن رفضوا فإنَّما أمرهم إلى الله يوم القيامة، فهو عليهم الحسيب الرَّقيب يعرف ما ظهر منهم وما بطن، فإن شاءَ غفر لهم وإن شاء عاقبهم، فهو تعالى لا يسأل عما يفعل، لهذا لا يحقّ لأحدٍ من البشر إكراههم على قبول "الإسلام" أو حسابهم فيما يتعلَّق باعتقادهم، وقد طلب الله تعالى من نبيّه أن يقول لهم "لكم دينكم ولي دين"[27]، فمن شاء منهم دخل في دين الإسلام، ومن شاء بقي على دين الكفر، وهنا يتمُّ التّعامل معهم

[27] وَلَا أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ ۞ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ (الكافرون – الآيتان 6,5).

على الأساس الإنساني، أي أخ بالإنسانية[28] ما دام يرفض أُخوَّة الدّين الواحد. فالله سبحانه خلق الناس من نفس واحدة وخلق منها زوجها وجعل من ذريتهم شعوباً وقبائل ليتعارفوا[29]، وكرّمهم ورزقهم من الطيبات وفضلهم على كثير ممن خلق تفضيلا[30]. فهناك قواسم مشتركة عظيمة، تعارفت عليها البشرية، وهي كفيلة بأن تجمع كل الناس في أسرة واحدة، وأعظم هذه القواسم مكارم الأخلاق التي لا يخلو منها عُرفٌ أو دين على وجه الأرض، ومنها أيضا الحريّة التي تجسدت في مبدأ عدم الإكراه في علاقة الإنسان بربه وفي تعامله مع خلقه ما لم يعتد على أحد. لذلك لا تجوز مقاتلة الكافر من أجل

---

[28] قال علي عليه السلام: الناس صنفان: إمّا أخ لك في الدين ، أو نظيرٌ لك في الخلق. (نهج البلاغة).

[29]) يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ. (الحجرات - 13).

[30]وَلَقَدۡ كَرَّمۡنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلۡنَٰهُمۡ فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِ وَرَزَقۡنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلۡنَٰهُمۡ عَلَىٰ كَثِيرٖ مِّمَّنۡ خَلَقۡنَا تَفۡضِيلا (الإسراء – الآية 70)

اجباره على الإسلام أبداً. أمّا في حالة الاعتداء فهنا يتمّ الردُّ على هذا الاعتداء بمثله، أو عبر تطبيق القانون المعمول به في ذلك المجتمع.

ولو تتبَّعنا ما ورد في سيرة النَّبيّ العظيم من حروب لوجدنا أنَّها كانت حروباً دفاعيّةً وليست غزوات، كما تمّ تصويرها لنا، وحتى في حالة الانتصار الكامل كما في "فتح مكّة" لم يطلب النَّبيُّ صلى الله وبارك عليه ووالديه وآله من كُفَّار قريش أن يدخلوا في الإسلام أو يجبرهم عليه، ولم يقتل من يرفضه ، بل تركهم "طلقاء" منهم من آمن لاحقاً، ومنهم من بقي طليقاً على كفره.

لهذا لا توجد عقوبة على المرتدّ عن الإسلام، فهناك حريَّة فكرية يكفلها الدّين، بأن يكون قبوله عن قناعة تامَّة، فإن شاء المُسلم الارتداد عنه فلا عقوبة عليه، ويترك أمره إلى الله تعالى.

أما ما وصلنا من بعض الأحاديث التي تضع حدّاً للمرتد بأن يقتل، فإنَّها تُعارض صريح القرآن الكريم، وبالتالي لا يؤخذ بها، فقد أوضحنا من قبل أنَّ مثل هذه الأحاديث المنسوبة للنبي العظيم حتى لو وجدت

في كُتب الصّحاح فإنّها غير مقبولة، لأنَّه لا يمكن للنَّبيّ مخالفة ربّه أبداً.

وحتى في حالة تبليغ الكافر بالإسلام وتعريفه به، يجب أن يكون في وضع طبيعي أي دون ضغط عليه يتعلّق بأمنه، أو حالةٍ من الجوع، أو الظروف القاهرة التي تُجبره على القبول بالإسلام بسبب منها وليس عن قناعة، فإنَّ إجارة الكافر واجبة على المسلم حتى يبلغ مأمنه، وحين يصبح في وضع نفسيّ عاديّ يمكن عرض رسالة الإسلام عليه، فإن شاء قبلها وإن شاء رفضها، لا عقاب عليه أبداً.[31]

معنى "الجهاد في سبيل الله"

إنَّ الكثير من الناس اليوم يفهمون "الجهاد في سبيل الله" المذكور في القرآن الكريم فهماً خاطئاً. فعند الكثير من المسلمين اليوم يعنى قتال الآخرين من غير المسلمين، وكذلك عند أهل الكتاب وغيرهم يعني

---

[31] وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْلَمُونَ (التوبة – الآية 6).

"الحرب المقدسة التي تقوم لأجل نصرة الدين"، وهذا مفهوم غير صحيح، وقد جرَّ الويلات على المسلمين وعلى غيرهم من الأمم بسبب ذلك. ولا بدَّ من تدبُّر الآيات القرآنية التي وردت فيها مفردات "الجهاد" و "سبيل الله" لمعرفة معانيها التي تتَّسق مع منهج الأخلاق ومقصد الرسالة ومراد الله من الخلق.

فالجهاد لا يعني "القتال" ولا "الحرب". فقد أمر الله سبحانه النَّبيّ مُحمَّداً صلى الله وبارك عليه ووالديه وآله أن يجاهد الكفار والمنافقين وأن يغلظ عليهم[32] وليس بالسيف الذي لم يرد ذكره مطلقا في كلام الله. والمنافقون فئة بين مجتمع المسلمين لا يمكن تمييزهم ليحاربوا ويتم قتلهم! والذي يؤكد أنَّ جهاد الكفار والمنافقين يكون بالكلمة قوله تعالى "واغلظ عليهم"، فالغلظة صفة للقول والمعاملة وليس للضرب والحرب والقتل. ومما يوضح هذا المعنى وصفه جلَّ جلاله

[32] " يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ..." سورة التوبة آية 73.

لمجادلة الوالدين في قوله: " وَإِن جَاهَدَاكَ عَلى أَن تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا.." بأنّها جهاد منهما[33].

أما السياق الذي ورد فيه قوله: "في سبيل الله" يشير دائما إصلاح أيّ أمر إلى الوضع الذي يُستحسن أن يكون فيه ذلك الأمر، كالإنفاق على معسر وعلى طلاب العِلم، أو إعانة مظلوم لاسترداد حقّه، لأنَّه الوضع الأمثل لمنهج الأخلاق الذي جاءت به جميع الرسل عليهم السلام، وهو الذي بُعِث به محمد صلى الله وبارك عليه وعلى والديه وآله.

[33] سورة لقمان آية 15.

هل الإسلام دين أم دولة سياسيَّة؟

الإسلام المُحمَّدي دينٌ مفتوحٌ للعالمين جميعاً، ودعوةٌ من أجل صالح الأخلاق وحُسن التَّعامل بين البشر، وهو رسالة للنَّاس كافَّة من كلّ الأعراق وفي أيّ مكان[34]، لهذا فهي دعوة مفتوحة جُغرافيّاً ولا حدود لها في منطقة مُعيَّنة، ولا يُمكن وضعها في دولة سياسيّة مغلقة، والادّعاء بأنّها "دولة الإسلام". أما آيات الحُكم المذكورة في القرآن الكريم فهي تتعلّق بالقضاء[35] وحفظ الحقوق، وكانت هذه التشريعات في رسالة موسى عليه السلام مُوجَّهة لبني إسرائيل

[34] قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِۖ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُۖ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ (الأعراف – الآية 158).

[35] وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالْأَنفَ بِالْأَنفِ وَالْأُذُنَ بِالْأُذُنِ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌۚ فَمَن تَصَدَّقَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَّهُۚ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ (المائدة – الآية 45).

أساساً[36]، وليس المقصود بها إقامة الحُكْم السّياسي أبداً من خلافة أو غيرها من أشكال النُظم السياسيّة، لهذا لا يَمنع أن يُقيم المسلمون المحمَّديُّون دولةً سياسيَّة تجمعهم، وتلمُّ شملهم، وتطبّق أحكام القضاء عليهم بما أنزل الله، ولكنّها لن تكون دولة للإسلام نفسه بل للمُسلمين، وبالتالي فإنَّ من يرأس هذه الدولة لا يُمثل الإسلام بل المُسلمين، ولا ينبغي أن يُسمَّى نفسه خليفة الله أو رسوله، أو أميراً للمؤمنين، وأنَّه رأس الدّين، ويمثّل الله على الأرض.

لقد جرى خلط واضح منذ فجر الإسلام المحمّدي، وخصوصاً بعد رحيل النَّبيّ صلى الله وبارك عليه ووالديه وآله، بحيث تمَّ اطلاق لقب "خليفة رسول الله" على الخليفة الأول، وفي الحقيقة هو خليفة للمُسلمين، ليسوس أمرهم بالحُسنى، ويُساهم في التَّخطيط معهم

---

36 إِنَّا أَنزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ ۚ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِن كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ ۚ فَلَا تَخْشَوُا النَّاسَ وَاخْشَوْنِ وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا ۚ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ (المائدة – الآية 44).

لإعمار الأرض بالخير والمحبَّة والسَّلام، ولم يُعيّنه الله خليفه له أو لرسوله أو للإسلام نفسه، وهذا أيضاً حال من جاء بعده، وبالتالي ينبغي على المسلمين اليوم التوقُّف عن محاولة العودة إلى فكرة الخلافة الأولى وذلك لأنَّها كانت فلتة[37]، كما وصفها الخليفة الثاني عمر بن الخطاب، ثم إنَّ الإسلام كما أسلفنا لا يُمكن أن تحدُّه جغرافيا أو يُمثّله خليفة أو حاكم باسم الله، بل هو دعوة مفتوحة تنتشر بين الناس بيسر وسهولة، فمن شاء قبلها ومن شاء رفضها.

إذن يمكن للمُسلمين التَّوافق على صيغةٍ للحكم بينهم، وعلى من يحكمهم إن كانوا هم الأغلبية في بلادهم التي يعيشون فيها، وكما أشرنا من قبل دون قهر أو إجبار، ويمكن للمُسلمين المحمّديين أيضاً أن يعيشوا في المجتمعات الأخرى لأهل الكتاب أو لغيرهم، ضمن قوانينهم المدنيَّة المُتعارف عليها، وضمن منظومة الحقوق

---

[37] عن ابن عباس: "ثم إنه بلغني قائل منكم يقول والله لو قد مات عمر بايعت فلانا فلا يغترن امرؤ أن يقول إنما كانت بيعة أبي بكر فلتة وتمت، ألا وإنها قد كانت كذلك، ولكن الله وقى شرها" رواه البخاري ومسلم.

والواجبات، ولهم أن يمارسوا عباداتهم، وعاداتهم الخاصَّة النَّابعة من تعاليم رسالتهم دون الإجبار على تركها أو التضحية بها[38]، وهذه المسائل أي حريَّة العبادة والتعبير والتفكير تكون عادة مكفولةً في المجتمعات المدنيَّة، فمن خشي العنت على نفسه وأهله وحريّته فإنَّ أرض الله واسعة.

[38] وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ الْإِنجِيلِ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فِيهِ ۚ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ (المائدة – الآية 47).

انقلاب المسلمين بعد رحيل النّبي

حذر النَّصّ القُرآني من حصول انقلاب بعد رحيل النَّبيّ الكريم على رسالته، وهناك إشارة واضحة إلى مسألة أن يكون انتقال النَّبيّ قد تمَّ بالموت الطَّبيعي أو بالقتل، أي فتحَ المجال لنا للتدبُّر في هذا الأمر، فمن الواضح أنّ بعض أتباع الرسالة الخاتمة قد انقلبوا على أعقابهم مُباشرة بعد رحيله[39]. وهنا لا يتعلَّق الأمر بالرّدَّة وحروبها بل بالمسلمين المُقرَّبين، ويبدو لنا أنَّ هذا الانقلاب تمَّ من خلال تحويل الدّين من دعوة أخلاقية مفتوحة للعالمين إلى خلافة محدودة ودولة ذات جغرافيا معينة، لها حاكم أو خليفة يُمثّل هذا الدين، وأنَّه يمتلك شرعيته من خلال خلافته للنَّبيّ لهذا كانت التَّسمية له "خليفة رسول الله" مع أنَّ الله تعالى لم يُنزّل الرسل ومعهم من يخلفهم، ولا

---

[39] وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ ۚ أَفَإِن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ ۚ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا ۗ وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ (آل عمران – الآية 144).

توجد شرعيَّة إلهيَّة للخليفة، فهو رجلٌ من المُسلمين تمَّ الاتفاق فيما بينهم على أن يكون حاكماً لهم أو سُلطاناً يقودهم، وبالتَّالي فهو خليفة للمُسلمين، وليس لرسول الله أو لله تعالى.

بعد هذا الانقلاب الأوَّل الكبير حصلت تداعيات أخرى كثيرة نتيجةً لوجود الخلافة منها اجبار النَّاس على دفع الزكاة، أي الإجبار على العِبادات بالنسبة للمُسلمين أنفسهم، أما بقيَّة خلق الله ممَّن لم يدخلوا الإسلام فقد تمّ توجيه غزوات إليهم، أو ما يُسمَّى بالفُتوحات، وهذا أيضا يُناقض صريح الدّين، فالنَّصُّ القرآني واضح في ضمان حريَّة الكُفر والإيمان[40]، وعدم الاعتداء على الآخرين، ومنذ اليوم الأول لرحيل النَّبيِّ العظيم، وحصول هذا الانقلاب وما لحقه من تداعيات، وتضخم في الفقه، والتأويلات، والتفاسير المساندة له والمرويّات، استمرَّت التَّبدُّلات في الإسلام حتَّى يومنا هذا، ومن ذلك

---

[40] لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّۚ فَمَن يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لَا انفِصَامَ لَهَاۗ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (البقرة – الآية 256).

مواقيت العبادات بعد الغاء النسيء، وإساءات للمسلمين لأنفسهم بما نسبوه للنَّبيّ العظيم من أحاديث، وكثرة كُتب الفقه وتعدد المذاهب الِّتي ساهمت في جعل الدّين عُسراً من بعد يُسر، وأشياء كثيرة سنمرُّ عليها في سلسلة هذا الكتاب الشامل لبيانها وتصحيحها بإذن الله.

هل توجد مذاهب في الإسلام؟

بعد نحو 1400 سنة من الرسالة المُحمَّديَّة نرى الكثير من المذاهب التي تدَّعي تمثيل هذه الرسالة إضافة إلى الجَماعات والمِلل والنِحَل ذات الطابع السَّياسي أو القومي أو العِرقي، والتي نشأت عبر التاريخ الإسلامي لأسبابٍ شتَّى.

وبالطبع فإنَّ التَّقسيم الأكبر اليوم لهذه الرسالة الخاتمة يتمثل في المذهبين الرئيسيين أيّ السُّنَّة والشّيعة، وبغضّ النَّظر عن طروحات كلّ جهة، والتفريعات المُتزايدة من كلّ طرف قرناً بعد آخر، فإنَّها لا أصل لها في الإسلام، وقد جَرَّت الكثير من الويْلات والانقسامات والصِراعات على الأُمَّة إلى يومنا هذا، ولم تكن في حقيقة الأمر "رحمة للأمة"، وبالتالي فإنَّ الإسلام المُحمَّدي في أصله صافٍ كنبع الماء، ويجب الأخذ منه مباشرة من خلال عنصرين أساسيين، القُرآن الكريم، و عصمة النَّبيّ العظيم وما صحَّ عنه من الأحاديث والسَّيرة

والتَّفاسير، ممَّا لا يُناقض صريح القرآن، أو يطعن في عصمته أو عصمة أحد من الأنبياء، أو يُناقض الأخلاق.

الإسلام المُحمَّدي جليٌّ لكلّ من يبحث عن الحقيقة بعد تجريدها من أهواء السلاطين، وتأوّلات الفقهاء، وذلك من خلال العودة كما أشرنا إلى الفترة الأولى أي مرحلة الإسلام النبويّ الصَّافي من شوائب الحُكم السياسي، وإضافات اللاحقين ممن دخل في الإسلام مُرغماً من المُنافقين وأعداء الدين المتسللين، وكذلك أصحاب الدنيا ممَّن رغب بركوب موجة الدين، وتحويلها لصالح مشروعه القومي أو السُلطوي الضيّق، والأمثلة على ذلك لا تحصى من التاريخ.

المذهبُ الحقيقيُّ للإسلام المُحمَّدي يقوم على توقير النبي وآل بيته، والتخلق بصالح الأخلاق. ولعل الهدف من هذا الكتاب بكل ما فيه من مراجعات في الفكر، وتدبّرات في القرآن، وتأمّلات في الجوانب الفقهية، إلى العودة بالمسلمين اليوم إلى ذلك الأصل الذي يسع كل الناس دون أي مذهبية وجماعات وفرق.

طريقة التعامل مع المذاهب

رحل النَّبيُّ العظيم صلى الله وبارك عليه ووالديه وآله بعد أن أدَّى الأمانة، وبلَّغ الرِسالة، وأكمل الدّين[41]، ومع الانقلاب الذي حصل بعد رحيله، والحروب والانقسامات التي تمَّت بين أتباعه من أجل احتكار السلطة، بدأت تظهر في المجتمع طبقة من الذين يدَّعون امتلاك المعرفة الدينية، وتصحيح مُجريات الأمور، بناء على فهمهم الخاص للنصوص القرآنية وما وصلهم من الأحاديث النبويّة، وقد انحاز بعض هؤلاء إلى أطراف النزاع الذي جرى بين المسلمين المُحمديّين أنفسهم، وبالتالي بدأت تتَّسع الشُّقَّة بينهم يوماً بعد آخر، ولا سيَّما في العهد الأموي وما تلاه، وقد ظهر بعض الفقهاء والمُجتهدين لوضع ضوابط للانفلات الحاصل في فهم الدين من قبل الطرفين

---

41 الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا ۚ فَمَنِ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِّإِثْمٍ ۙ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (المائدة – الآية 3).

الأكبرين، وهم أتباع بني أمية والذين عرفوا بأهل السُّنة والجماعة، وأتباع الإمام علي عليه السلام، والذين تمَّ اطلاق لقب "الشيعة"عليهم لاحقاً.

لقد ظهرت المذاهب الفقهية في فترة متأخرة بعد رحيل النَّبيّ العظيم، واليوم قد يتَّخذ المُسلم المُحمَّدي له مذهباً فقهياً يتعبَّد به، وهذا أمر عادي، لكنَّه يجب أن لا يكون مُتطرّفا لمذهبه، ولا أن يظنَّه أصحّ المذاهب، وأنَّ ما سواه في ضلالٍ مُبين، ولا أنَّ ما يقوم به بناء على اتّباعه لهذا المذهب أو غيره بأنَّه يُطبّق الدّين الصَّحيح تماماً، بل يعتقد بأنَّه نوعِ من الاجتهادات والتأويلات للنّصوص قام بها مؤسسوا هذه المذاهب بناء على فهمهم الخاص لآيات القرآن، وما وصلهم من الأحاديث. فلا ينبغي لمسلم أن يُكفّر مُسلماً آخر بسبب اتباعه مذهباً مُخالفاً لمذهبه، ولا أن يتَّخذ منه موقفا في المُعاملات والحقوق بناء على ذلك، ولا أن يحارب المسلم أخاه، ولا أهل الكتاب، ولا الكفَّار أيضاً بناء على اعتقاداتهم الدينية وآرائهم الفكريَّة، بل يتمُّ ردُّ الاعتداء

من المُعتدين، وطرح السّلم والصُّلح فهو أولى[42]، فإنَّ إراقة قطرة دماء بشريَّة واحدة دون حقّ، مسألة عظيمة عند ربّ العباد، فمن قتل نفساً بغير نفسٍ، فكأنّما قتل النَّاس جميعاً[43]، ولم يُحدّد الله تعالى دين هذه النفس أو مقدار إيمانها أو كفرها، بل أطلق الأمر بشكلٍ عام، لأهميَّة النَّفس البشريَّة من بني آدم المُكرَّمة عند الله جلّ جلاله.

[42] وَإِن جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ ۚ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (الأنفال – الآية 61).

[43] مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا ۚ وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم بَعْدَ ذَٰلِكَ فِي الْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ (المائدة – الآية 32).

كيفيَّة التَّعامل مع الأحاديث النَّبويَّة؟

الذي نراه أنَّ سُنَّة النَّبيّ العظيم هي ما ثبت عنه من أفعال وأقوال وإقرار فيما وصلنا، وأنَّه صلى الله وبارك عليه ووالديه وآله وحيٌ يوحى، ويتلقَّى مباشرة عن الله لأنَّه حقٌّ[44]، وكان قرآناً يمشي على الأرض، ووصفه الله بالخُلق العظيم، ولا تُوجد سُنَّة لغيره يُمكن قبولها، مثل ما وصلنا من أحاديث عن سُنَّة الخلفاء الراشدين، فتلك أحاديث لا تستقيم، إذ لم يوص النَّبي لأحدٍ بعده بالخِلافة، فكيف يتحدَّث عن سُنَّة الخلفاء الراشدين من بعده، والمطلوب العضّ عليها بالنواجذ لصحابته الذين حوله وفي حياته؟!.[45]

---

[44] كَيْفَ يَهْدِي اللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ وَشَهِدُوا أَنَّ الرَّسُولَ حَقٌّ وَجَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ ۚ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (آل عمران – الآية 86).

[45] عن العرباض بن سارية: لقد تركتُكم على البيضاءِ، ليلِها كنهارِها، ولا يزيغُ عنها بعدي إلا هالكٌ، ومن يَعِشْ منكم فسيرى اختلافًا كثيرًا، فعليكم بما عرفتُم من سُنَّتي، وسُنَّةِ الخلفاءِ الراشدين المهديّينَ، عضُّوا عليها بالنواجذِ، وعليكم

لسنا هنا في معرض تفصيل مثل هذه الأحاديث ونقدها، فبعضها متهافت في دلالاته ومتناقض، أنظروا مثلاً إلى إساءة مثل هذه الأحاديث المنسوبة إلى النّبيّ صلى الله وبارك عليه ووالديه وآله إلى الأحباش كعرق، فالإنسان لا يُقاس بلونه بل بمدى تقواه، فإنّ أكرمكم عند الله أتقاكم، وكان "بلال الحبشيّ" نموذجاً لذلك، فالأحباش ليسوا كلهم عبيداً،[46] بل أمّة من الأمم، وبالتالي يبدو لنا هذا الحديث المنسوب إلى النبيّ الكريم يتناقض مع نصوص القرآن، وأخلاق النَّبي العظيمة، إضافة إلى ما ذكرناه، وثمَّة حديث آخر نرى أنَّه صحيح، يناقض حديث الخلفاء الراشدين.[47]

بالطاعةِ، وإن عبدًا حبشيًّا، فإنما المؤمنُ كالجملِ الأَنِفِ، حينما قِيدَ انقادَ (أخرجه أبو داوود والترمذي ..).

[46] عن أنس بن مالك: اسْمَعُوا وأَطِيعُوا، وإنِ اسْتُعْمِلَ علَيْكُم عَبْدٌ حَبَشِيٌّ، كَأنَّ رَأْسَهُ زَبِيبَةٌ.(صحيح البخاري).

[47] عن أبي سعيد الخدري: «إنّي أوشِكُ أنْ أُدْعى فأُجيبَ، وإنّي تارِكٌ فيكمُ الثَّقَلَيْنِ: كتابَ اللهِ عزَّ وجلَّ، وعِتْرَتي، كتابُ اللهِ حَبْلٌ مَمدودٌ منَ السَّماءِ إلى

وبما أنَّ الأحاديث النَّبويّة التي وصلتنا اليوم، قد جُمعت في وقت متأخر، ظهرت فيه الفتن والانقسامات، وكثر فيه المُحدّثون وفقهاء السلاطين، ودخل في الإسلام الكثير من الطُلقاء والمُنافقين، فإنَّه يجب التحرّي في نقلها على أساس أنّها صحيحة، وضمن ميزان دقيق، فقد اجتهد السابقون في غربلة بعضها على أساس صحَّة السند، وأنجزوا الكثير مما وصلنا اليوم، لكن صحَّة السَّند وحده لا تكفي كما أوضحنا من قبل، إذ يجب عرض الحديث على القرآن الكريم وعصمة النَّبي، فإن خالف الحديث القرآن أو طعنَ في عصمة النَّبيّ العظيم أو أحد الأنبياء السابقين يجب ردّه.

وسنرى التَّطبيق العملي على ما أوردناه هنا من ميزان لمراجعة الأحاديث من خلال ما سنستعرضه من أمثلة على أحاديث أساءت للمسلمين فيما نسبوه للنَّبي العظيم، وناقضت بشكلٍ صريحٍ نصوص القرآن الكريم.

الأرضِ، وعِتْرَتي: أهلُ بَيْتي، وإنَّ اللَّطيفَ الخَبيرَ أَخبَرَني أنَّهما لن يَفتَرِقا حتى يَرِدا عليَّ الحَوضَ، فانْظُروا بمَ تَخلُفوني فيهما». (أخرجه الترمذي وأحمد).

الّذين كانوا حول النَّبيّ

يُوضّح القرآن الكريم أصناف النّاس الأمّيّين الذين بُعث فيهم النَّبيّ العظيم صلى الله وبارك عليه ووالديه وآله، ومقدار إيمانهم من عدمه، ويمكن الإشارة إليهم ببعض صفاتهم هنا حتى لا يختلط الأمر على الناس اليوم بما وصلهم من التَّضليل التَّاريخي والسُّلطاني، إذ يظنُّ معظمهم أنَّهم كانوا ملائكةً يمشون على الأرض، وقد أطلق عليهم تعميماً لقب "الصَّحابة"، لكن الواقع وأحداثه لا يتَّسق مع هذا التعميم، وكذلك ما ورد في النّصّ الإلهي المحكم الذي خاطبهم ب "ياأيها الذين آمنوا"، فهناك فئات كثيرة ضمَّها هذا الخطاب، فمنهم ما جاء وصفهم من حيث معتقدهم مثل: المؤمنون، الذين آمنوا وعملوا الصالحات، المشركون، الكفّار، المنافقون، ومنهم من وصفوا بأعمالهم مثل المسلمون، الصالحون، المصلحون، الصادقون، المتّقون، المجرمون، المفلحون، الفاسقون، المسرفون، السفهاء، الكاذبون...، أما من ناحية الجغرافيا أو الانتماءات القبلية، فهناك

قريش، والمهاجرون، والأنصار، وأهل المدينة. هذا بالإضافة إلى من سبقهم من أهل الكتاب وهم "الذين هادوا"، و "بنو إسرائيل"،و "اليهود"، و "النّصارى"، و "الصَّابئون". وكذلك أصحاب الديانات الوثنية مثل المجوس. ومن الأصناف المذكورة أعلاه من وصفهم الله سبحانه بأعراقهم مثل "الأعراب"، و"العرب" و"الروم".

علينا أن نضيف هنا أيضاَ أنَّ مصطلح "الصَّحابة" تمّ نحته لاحقاً من قبل فقهاء السلاطين، وليس خلال العصر النّبوي، وهؤلاء يرون أنّ كل من رأى النبي ولو للحظة وآمن به فهو صحابي، وقد وضعوا قاعدة "عدالة الصحابة" لتحصين هؤلاء جميعاً ووضعهم تحت مظلة واحدة، لا ينبغي الاقتراب منها أو فحصها أو الطّعن فيها، رغم وجود الفئات الأخرى التي ذكرنا بعضها ومن أبرزها "المنافقون"، وبعضهم كان معروفاً للنبي ومن حوله، ومنهم من انسحب من معركة أحد، أو تخلّف عن معركة تبوك، ومنهم من شارك في بناء المسجد الضّرار والترويج للصلاة فيه. كما أنّ مفهوم "الصُّحبة" الوارد في القرآن الكريم لا يعني إطلاقاً التزكية والتوافق الحميد بين الأصحاب، بل

ربَّما يدل على الإختلاف في النَّوع أو الإعتقاد، وهناك آيات كثيرة تشير إلى ذلك بشكل لا يقبل اللبس.

وسنورد هنا بعض هذه الفئات المُهمَّة وما وصفها الله به حتى تتَّضح المسألة للذين يخلطون الغثَّ بالسَّمين، والصَّحابي الصَّالح، بالصَّحابي المُنافق، أو بالعاصي لرسول الله، بل والمُسبّب له الأذى.

الَّذين آمنوا

من الملاحظ في تدبُّر آيات القرآن الكريم، وترتيلها بشكلٍ صحيحٍ، أنَّ المَقصود بـ"الَّذين آمنوا" عموما هم من أرسل إليهم النبي محمد صلى الله وبارك عليه ووالديه وآله، قد ورد في مقابلة أقوام الرسل مثل "الذين هادوا" و"النصارى" و "الصابئين" . فالله سبحانه لم يخاطب من بُعِث فيهم محمد صلى الله وبارك عليه وعلى والديه وآله بالمسلمين ولا بالذين أسلموا بل بالذين آمنوا، وهي لا تعني المؤمنين بل مطلوب منهم الإيمان بالله ورسوله ولا تكفيهم عدم المعارضة. ومنهم الذين تبعوا النَّبيَّ مُحمَّداً ولم يقفوا في وجه دعوته، وربَّما يكون أحدهم قد نطق بالشهادتين فقط، وأصبح مسلماً، وهذه هي الدَّرجة الأولى من

ترك الشّرك والكُفر واتّباع النَّبيّ، ولكنَّهم بحاجة إلى تعميق تجربتهم الإيمانيَّة، وعليهم أن يجتهدوا للثبات على إيمانهم من خلال تنفيذ أمور تعينهم على الإيمان بالله وبالرسول والتأسّي به لتصير أعمالهم صالحة، فيكونوا من "الذين آمنوا وعملوا الصالحات"، وقد أوضحها الله لهم عبر مخاطبتهم بـ "يا أيَّها الذين آمنوا" وما يليها من الهدى والإرشاد كما سنرى في بعض الأمثلة التي أوردناها. وفي هذه المسيرة نجد إنَّ بعضهم قد يؤمن وقد يكفر عدَّة مرَّات، ولا تُوضّح الآيات عقاباً على ذلك الفعل في الدنيا ما لم يعتد على أحد، وهذا ما يظهر في آيات كثيرة تُبيّن أنَّ عقوبة الرّدّة مردّها إلى الله وليس عليها عقاب دنيوي بالاستتابة أو القتل.

وفيما يلي بعض الأدلة على أنّ مصطلح "الذين آمنوا" يشير إلى القوم الذين بُعث إليهم رسول الله صلى الله وبارك عليه ووالديه وآله ولا يدل على إيمانهم.

- يتساوى الَّذين آمنوا "الذين أرسل إليهم النبيّ محمَّداً"، مع الذين هادوا "الذين أرسل إليهم نبيّ الله موسى"، والنصارى "الذين أرسل

إليهم نبيّ الله عيسى"، والصابئين، في ضرورة أن يؤمنوا بالله، واليوم الآخر، وأن يعملوا الصالحات حتى يكونوا من الناجين يوم القيامة. وقد ورد هذا الجمع بين هؤلاء الفئات من أقوام الرسل في موضعين في القرآن الكريم.

- جمع الله بين "الذين آمنوا" و"الذين هادو" و"الصَّابئين" و"النَّصارى" و"المجوس" و"الذين أشركوا" في آية واحدة في أنَّه تعالى سوف يفصل بينهم يوم القيامة، وهذا يؤكد على أنّ الحُكم بالإيمان أو الكُفر مردُّه إلى الله يوم القيامة لا إلى البشر، والله تعالى يتكفَّل بهم، فمن شاء أدخله الجنَّة ومن شاء أدخله النار، وهذا العدل الإلهي يشمل الذين آمنوا، والذين أشركوا، والمَجوس، وأهل الكتاب، أي كلّ الأصناف ممَا يبدو لنا مُسلماً أو غير مسلم، وهذا دليل قاطع من القرآن الكريم على عدم محاسبة الآخرين على اعتقاداتهم الدينية مهما كانت، فهذه المسألة متروكة لربّ العالمين لا يزاحمه البشر فيها، حتى لو كانوا رسلاً .

ولعل في إشارته تعالى إلى المجوس والنصارى واليهود مسبقاً ما يدل على أنَّ ما جرى لهم فيما بعد، أي بعد رحيل النَّبيّ العظيم من قتْلٍ باسم "الفُتوحات الإسلامية" كي يدخلوا في الإسلام أمرٌ غير مقبول ويناقض صريح القرآن، إلا في حالة الاعتداء فيجب ردُّه من أي طرف كان.

وسوف نستعرض هنا بعض ما ورد بحقّ "الذين آمنوا" وهم الفئة الأكبر كما يبدو لنا في المجتمع الإسلامي المُحمَّدي الجديد التي خصها الله سبحانه بالخطاب "يا أيها الذين آمنوا" وما يليه من الحض على مكارم الأخلاق وتجنب المنكرات والتي تشمل تعاليم الرسالة الخاتمة لتتَّضح الصُّورة:

- طلب الله تعالى من "الذين آمنوا" الإيمان بالله ورسوله، والكتاب الذي نزَّل عليه، والكتاب الذي أنزل من قبل .

- طلب الله منهم أن يتَّقوا الله ولا يموتوا إلا على الإسلام ، وهذا يُوضّح أنَّهم في أوَّل درجات الإسلام والإيمان، وأنَّ بعضهم قد ينقلب على

عقبية، لهذا عليه تقوى الله حقَّ تُقاته، والحرص على الموت على دين الإسلام.

- حذَّر الله تعالى هذه الفئة بأنَّ من يرتد منهم عن دينه، فإنَّ الله سيأتي بقوم يُحبّهم ويحبُّونه بديلاً عنهم ، وهذا يؤيد فكرة أنَّه لا عقوبة على المُرتد عن الدّين، وآنَّ مآله إلى الله، وهنا من الواضح أنَّهم سيخرجون من مظلة حبّ الله لهم، وهذا أمر عظيم.

- طلبَ منهم إطاعة الله ورسوله وأن لا يبطلوا أعمالهم .

- طَلبَ منهم أن يتَّقوا الله ويكونوا مع الصادقين .

- طلب منهم تعالى أن يتوبوا إلى الله توبة نصوحاً حتَّى يُكفّر عنهم سيئاتهم، ويدخلهم الجنَّات ، وهذا يدلُّ على أن بعضهم ارتكب أخطاءً وخطايا تستوجب الغُفران، كما ميَّز الله تعالى في الآية نفسها "النَّبيَّ والذين آمنوا معه" عن "الذين آمنوا" فقط، وهذا يدلَّ على استثنائهم من هذه المعيّة المُحمَّديَّة، حيث النُّور يسعى بين أيدي أحباب النَّبيّ، فيما المطلوب من "الذين آمنوا" الارتقاء عبر التَّقوى، والعمل

الصالح، والمحبَّة الصَّافية إلى معيَّة النَّبيّ صلَّى الله وبارك عليه ووالديه وآله.

ونكتفي بهذا القدر من الأمثلة الدَّامغة بحقّ "الذين آمنوا" رغم وجود آيات كثيرة أيضاً بخصوصهم في مواضع شتَّى من القُرآن الكريم، ومن الواضح جدَّاً من كلّ هذه الأمثلة أنَّ هذه الفئة كانوا من الذين يعيشون مع النَّبيّ العظيم صلى الله وبارك عليه ووالديه وآله، ويدخلون بيوته، ويرفعون أصواتهم فوق صوته، وكان بعضهم يؤذونه بسلوكهم السيّء، فهل هؤلاء كلهم عدول ولا يجوز انتقادهم؟.

الإيمان بمحمّد

شهادة أنّ "مُحمَّداً رسول الله" التي يُردّدها المسلمون تقتضي الإيمان التّام به، والصلاة عليه، والتسليم له، ومعرفة مقامه الرفيع، ودرجاته العالية، فالنَّبيّ محمَّد صلى الله وبارك عليه ووالديه وآله، حقٌّ وخَلْقٌ، فمن حيث هو حقّ يتواصلُ مع الحقّ تعالى مباشرة بلا وسيط، فالحقّ لا ينقسم[48]، ومن حيث هو خلق أي بشر يتواصل معهم مباشرة لتبليغ رسالة الحقّ إليهم[49].

والذي نراه أنَّ الوجود الرُّوحي للنَّبيّ سابقٌ على وجوده الجسديّ، وهناك إشارات كثيرة في الآيات القرآنية وبعض ما وصلنا من الأحاديث

---

48 كَيْفَ يَهْدِي اللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ وَشَهِدُوا أَنَّ الرَّسُولَ حَقٌّ وَجَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ ۚ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (آل عمران – الآية 86).

49 قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ ۖ فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا (الكهف – الآية 110).

تشير إلى ذلك، وأنَّه كان نبيَّاً وآدم بين الماء والطين، أي وجوده الروحي سابق على وجود آدم. وأنَّ الله تعالى جمعَ الأنبياء، وأخذ منهم الميثاق على ما آتاهم من كتاب وحكمة ليؤمنوا بالرسول السابق لهم، والمصدّق على ما معهم من كُتبٍ وحكمة ورسالات[50]، وقد بشَّر به نبيُّ الله عيسى عليه السلام، وأنَّ اسمه في السماء أحمد[51]، ومن الواضح أنَّ الله تعالى جعله سيَّد النَّاس والأنبياء والمرسلين أجمعين، وخصَّه برسالة إلى النَّاس كافَّة، على عكس بقيّة الأنبياء الذين أُرسلوا إلى أقوامهم فقط.

---

[50] وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُم مِّن كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنصُرُنَّهُ ۚ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِي ۖ قَالُوا أَقْرَرْنَا ۚ قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُم مِّنَ الشَّاهِدِينَ (آل عمران – الآية 81).

[51] وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِن بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ ۖ فَلَمَّا جَاءَهُم بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ (الصف - الآية 6).

ورغم علمه بالدّين كلّه وأحوال العِباد[52]،الذي به بيَّن للنَّاس ما أُنزل إليهم، مدحه الله سُبحانه بالخُلق العَظيم[53]، ووصفه بأوصاف عالية، فهو الرحمة المُهداة للبشريَّة[54]، وهو الحريص على المؤمنين، والرؤوف والرحيم بهم[55]. وهو المعصوم، والأسوة الحَسنة، والقُدوة، والنموذج الأعلى للبشر[56]، والتجلّي الأعظم للذات الإلهيّة على الأرض، إذ لا يوجد ما يمنع المُطلق أن يتجلّى في محدود مع بقاء إطلاقه، وقد تجلّى الله في الجبل، وفي النَّار والشجرة، وتجلّت أنواره في الأنبياء بقدر

---

52 وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ (النحل – الآية 44).

53 وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ (القلم – الآية 4).

54 وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ (الأنبياء – الآية 107).

55 لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ (التوبة – الآية 128).

56 لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا (الأحزاب – الآية 21).

وسعهم، فكيف لا يكون تجلّيه الأعظم في أعلى خَلْقِه، وآخر أنبيائه المَبعوث رحمةً للعالمين، دون حلولٍ أو تجسيد أو اتّحادٍ.

وقد أنزل الله القرآن إليه دفعةً واحدةً في ليلة القدر[57]، فاحتمله النبيُّ العظيم، وكان أكثر قوّة من الجبال التي لو أنزل إليها القرآن لتصدَّعت[58]، كما أنابه الله عنه في مُبايعة المؤمنين، وأنَّ من يُبايعه فقد بايع الله تعالى[59]، واعتبر أنَّ رميه في المعارك هو رمي الله تعالى[60].

ومع ذلك لم يسلم النَّبيّ العظيم من أذى قومه بأخلاقهم الخشنة، وسوء تعاملهم، وسواد نواياهم، وحتَّى كان ذلك من بعض المُقرَّبين، وقد أشار الله تعالى إلى بعض زوجاته، وحذَّرهنَّ بصراحةٍ مُتناهية من

---

[57] إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ (القدر - الآية 1).

[58] لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا الْقُرْآنَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ ۚ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ (الحشر – الآية 21).

[59] إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ الفتح – الآية 10).

[60] فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ ۚ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ رَمَىٰ ۚ (الأنفال – الآية 17).

التَّظاهر ضدّ النَّبيّ، وأنَّ عليهن أن يتبنَ مما فعلن[61]، كما تعرَّض النَّبيُّ للأذى ممَّن حوله من المُنافقين الذين كانوا يظهرون الإيمان ويبطنون الكفر، ومن بعض "الذين آمنوا" الذين في بداية الطريق، كما أوضحنا من قبل.

إنَّ إيمان أيَّ مُسلم لا يكتمل ما لم يكن يؤمن بالنَّبيّ صلى الله وبارك عليه ووالديه وآله، ويعرف قدْرَهُ، كما أسلفنا ويصلّي عليه بالصَّيغة الصَّحيحة، فالكثير من المسلمين اليوم يقولون إنَّ الصلاة على النَّبي تُجزئ عن المرء مرَّة في العمر، مع أنَّ الله تعالى أمر الذين آمنوا بالصلاة عليه والتسليم له[62]، فهي فريضة، والصَّيغة التالية المنتشرة فيها بعض الأخطاء، وهي : "**صلى الله عليه وسلم**"، **أو "اللهم**

---

[61] إِن تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَاۖ وَإِن تَظَاهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَۖ وَالْمَلَائِكَةُ بَعْدَ ذَٰلِكَ ظَهِيرٌ (التحريم – الآية 4).

[62] إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّۚ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا (الأحزاب – الآية 56).

صلّ على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين وتابعي تابعيهم ومقلديهم بإحسان إلى يوم الدين".

الله تعالى يقول "صلّوا عليه وسلّموا تسليماً" أي من التَّسليم والقبول التَّام، وليس من "السلام" فلم يقل "وسلّموا سلاماً" لهذا فالصيغة المنتشرة غير دقيقة، أما بالنّسبة للصَّلاة على غير النَّبي مثل الصَّحابة الأجمعين، وتابعي تابعيهم إلى يوم الدين، فلم يأمر الله تعالى أحداً بفعل ذلك. لهذا نرى أنّ الصيغة الأصلح تكون بالصلاة وبالمباركة على النَّبي، وعلى والديه وآله، أي "اللهم صلّ وبارك على سيدنا محمد ووالديه وآله"، وقد يسأل سائل لم جمعنا والديه لآله، فهذا نوع من التَّكريم لهما، لأنَّ النَّبي العظيم خِيار من خِيار، ونورٌ من نور، تقلَّب في الأصلاب الطاهرة حتى خرج إلى الدنيا، وإن كان ذلك إثم في صحائفنا، فنرجو أن نلقى به النبي صلى الله وبارك عليه ووالديه وآله يوم القيامة ليشفع لنا به لقوله "شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي"[63]،

63 رواه أبو داود والترمذي

وهذا ردٌّ على من أراد جعل والدي النَّبي في النَّار، والعياذ بالله ممَّا يفترون.

أمَّا "الصَّلاة الإبراهيمية" في صِيغتها المُتوارثة، فهي أيضاً تبدو لنا غير صحيحة، فالذي يقول "اللهم صلّ على سيّدنا محمّد كما صليت على سيّدنا إبراهيم" يُعطي الفضل في صلاة الله الأولى للنَّبي إبراهيم عليه السلام، رغم أنَّه لم يرد في القرآن أنَّ الله صلَّى على إبراهيم، لهذا لا يستقيم الأخذ بها وترديدها في الصلاة، فالنَّبيُّ مُحمَّد هو سيُّد الأنبياء والمُرسلين، وهو المَّخصوص وحده بصلاة الله وملائكته عليه، لا يشاركه فيها نبيٌّ ولا مَلَكٌ ولا بَشر.

إنَّ طاعة الله لا تكون إلا بطاعة رسوله[64]، ومحبَّة الله لا تكون إلا بمحبَّته[65]، ويوم القيامة يشفع لمن شاء من الخلق، وتجد أمَّته جاثية أمامه ليقضى بينهم، فالله تعالى مطلق، والتعامل بينه وبين البشر

---

[64] وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ (آل عمران – الآية 132).

[65] قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْۗ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (آل عمران – الآية 31).

يكون عبر الأنبياء، لهذا يعضُّ الظَّالمُ على يديه في ذلك اليوم العصيب حين يرى الرسول أمامه، لأنَّه يندم على ما فات في حياته من عدم اتباعه.[66] وقد ضرب الله لنا مثلاً في الحواريّين الذين كانوا برفقة سيدنا عيسى عليه السلام، وكيف رأوا نبيّهم يُحيي الموتى، ويبرىء الأكمه والأبرص، وينزّل لهم مائدة من السماء، ومع ذلك، حينما أحسّ منهم الكفر قال لهم من أنصاري إلى الله؟، لكنَّهم تجاوزوه فوراً، وقالوا "نحن أنصار الله" وكان الأولى أن يقولوا "نحن أنصارك إلى الله" كما طلب منهم.[67]

إنَّ الكثير من المسلمين يظنون أنّ الرسول العظيم لم يكن إلا صاحب رسالة بلّغها ومضى وانتهى دوره، وعلاقتهم مع الله تكون مباشرة، وهذا بالطبع نوع من البُهتان العظيم الذي يودي بصاحبه إلى المهالك.

---

[66] وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا (الفرقان – الآية 27).

[67] فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنْهُمُ الْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ اللَّهِ آمَنَّا بِاللَّهِ وَاشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ (آل عمران - الآية 52).

كما أساء الكثير من المُفسّرين، ورواة الأحاديث، وكُتّاب السّيرة للنَّبيَ العظيم بما نسبوه إليه، وبثُّوا سمومهم وإساءاتهم في الكُتب التي وصلتنا، وللأسف يتمُّ ترديد مثل هذه الإساءات على منابر المساجد، وفي القنوات التلفزيَّة، والمحاضرات الجامعيَّة، وسوف نستعرض هنا بعض هذه الأخطاء والخطايا، ونردّ عليها باختصار، فمن شاء الاستزادة يجدها مفصَّلة في كُتب صاحب هذا المنهج الشَّيخ النَّيّل أبو قرون.

أمثلة من إساءات المُسلمين لأنفسهم

فيما نسبوه للنَّبيّ العظيم

- **قولهم إنَّه عبَسَ** في وجه الأعمى **وتولَّى** عنه، وهذا أمر لا يستقيم مع الأخلاق المُحمَّدية العظيمة، ولم يقل الله تعالى صراحة"عبس النَّبيّ وتولَّى" مثلاً، أو "عبسْتَ يا مُحمَّد وتولَّيت" بل تحدَّث تعالى عن رجلٍ من الكُفَّار عَبَسَ وتولَّى حينما رأى النَّبي منتبهاً بأخلاقه العالية إلى هذا الأعمى[68]، كما أنَّ العُبوس ورد في القرآن صِفة للكافر[69]، فلا يمكن أن يصفَ الله تعالى نبيَّه بها، وبالتالي يجب التوقُّف عن مثل هذه التفاسير المُسيئة وقبولها.

---

[68] عَبَسَ وَتَوَلَّىٰ ۞ أَن جَاءَهُ الْأَعْمَىٰ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَّكَّىٰ ۞ أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنفَعَهُ الذِّكْرَىٰ (عبس – الآيات 1- 4).

[69] ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ (المُدَّثر – الآية 22).

- **قولهم إنَّه أخطأ في معركة** بدر بأخذه الأسرى، وعدم قتلهم، وأنَّ عمر بن الخطاب قد صحَّحه في ذلك[70]، وأنَّه نزل القرآن موافقاً لعمر، وهذا أمر غير صحيح أبداً، فلا يجوز قتل الأسرى في الإسلام، بالنَّصّ القُرآني الواضح الذي يَعلمه النَّبيَ العظيم جيَّداً[71]، فالأسير حُكمه أن يفتدي نفسه أو يمنُّ عليه المُنتصر بعتقه، ولا يَحقُّ لأيّ شخصٍ أن يُصحّح النَّبيّ مهما كان مقامه، وإلا فإنَّه يكون أعلم من النِّبيّ نفسه، والحقيقة أنَّ ما وصلنا من

[70] عن شقيق بن سلمة: قال عبدُ اللهِ: فضَّل الناسُ عمرَ بنَ الخطابِ رضيَ اللهُ عنهُ بأربعٍ بذكرِ الأسرى يومَ بدرٍ أمرَ بقتلِهم فأنزل اللهُ عزَّ وجلَّ {لَوْلا كِتابٌ مِنَ اللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيما أَخَذْتُمْ عَذابٌ عَظِيمٌ} وبذكرِه الحجابَ أمر نساءَ النبيِّ ﷺ أن يحتجبْنَ فقالت له زينبُ: وإنك علينا يا ابنَ الخطابِ والوحيُّ ينزلُ في بيوتِنا فأنزل اللهُ عزَّ وجلَّ: {وَإِذا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتاعًا فاسْأَلُوهُنَّ مِنْ وَراءِ حِجابٍ} وبدعوةِ النبيّ ﷺ له: اللهمَّ أيدِ الْإسلامَ بعمرَ وبرأيهِ في أبي بكرٍ كان أولُ الناسِ بايعه (مسند أحمد).

[71] فَإِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ حَتَّىٰ إِذَا أَثْخَنتُمُوهُمْ فَشُدُّوا الْوَثَاقَ فَإِمَّا مَنًّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاءً حَتَّىٰ تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا (محمد - الآية 4).

المرويّات تُسيء لعمر نفسه، فالأسير لا يقتل، بل مدح الله آل البيت الكرام بأنَّهم يُطعمون الطَّعام للمساكين واليتامى والأسرى[72].

المسألة الأخرى أنَّ أخذ الأسرى تمَّ من المسلمين أنفسهم، لأنَّهم يُريدون عرض الحياة الدنيا كما وصفهم الله تعالى[73]، ولم يوجه اللوم لرسوله في هذا الأمر.

- **قولهم إنَّه صلَّى على منافق** رغم أنّ الله نهاه عن ذلك، وهذا من سوء أدبهم مع النَّبي العظيم صلى الله وبارك عليه ووالديه وآله، وقد وصفوا صلاة النَّبي على عبدالله بن سلول بأنَّها مُخالفة لله تعالى، وجاءوا بأحاديث تُظهر أنَّ عمر بن الخطاب، شدَّه من

---

[72] وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا (الانسان – الآية 8).

[73] مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُ أَسْرَىٰ حَتَّىٰ يُثْخِنَ فِي الْأَرْضِ ۚ تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا وَاللَّهُ يُرِيدُ الْآخِرَةَ ۗ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (الأنفال – الآية 67).

ثوبه حتى أثر ذلك في عاتقه الشَّريف، وقال له: ألم ينهك الله أن تصلي عليهم.[74] وبالطبع إن حصل هذا الأمر من عمر فهو كارثة حقيقيَّة وإساءة للنَّبيّ لا يمكن قبولها أو غفرانها منه أو من غيره، وهي رواية تُدينه، ولا تُظْهره قويَّاً في الحقّ أكثر من النَّبي نفسه، كما يسعى بعضهم لترويج هذه الحكاية.

---

[74] حَدَّثَنا يَحْيى بْنُ بُكَيْرٍ، حَدَّثَنِي اللَّيْثُ، عَنْ عُقَيْلٍ، عَنِ ابْنِ شِهابٍ، عَنْ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، عَنِ ابْنِ عَبّاسٍ، عَنْ عُمَرَ بْنِ الخَطّابِ أنَّهُ قالَ: لَمّا ماتَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أُبَيٍّ ابْنُ سَلُولَ، دُعِيَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِيُصَلِّيَ عَلَيْهِ، فَلَمّا قامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وثَبْتُ إلَيْهِ، فَقُلْتُ: يا رَسُولَ اللَّهِ، أتُصَلِّي عَلى ابْنِ أُبَيٍّ وقَدْ قالَ يَوْمَ كَذا وكَذا: كَذا وكَذا؟ أُعَدِّدُ عَلَيْهِ قَوْلَهُ، فَتَبَسَّمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وقالَ: «أخِّرْ عَنِّي يا عُمَرُ» فَلَمّا أكْثَرْتُ عَلَيْهِ، قالَ: «إنِّي خُيِّرْتُ فاخْتَرْتُ، لَوْ أعْلَمُ أنِّي إنْ زِدْتُ عَلى السَّبْعِينَ يُغْفَرُ لَهُ لَزِدْتُ عَلَيْها» قالَ: فَصَلّى عَلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ثُمَّ انْصَرَفَ، فَلَمْ يَمْكُثْ إلّا يَسِيرًا، حَتّى نَزَلَتِ الآيَتانِ مِن بَراءَةٌ: ﴿ولاَ تُصَلِّ عَلى أحَدٍ مِنهُمْ ماتَ أبَدًا﴾ [التوبة ٨٤] إلى قَوْلِهِ ﴿وهُمْ فاسِقُونَ﴾ [التوبة ٨٤] قالَ: فَعَجِبْتُ بَعْدُ مِن جُرْأتِي عَلى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يَوْمَئِذٍ، واللَّهُ ورَسُولُهُ أعْلَمُ (صحيح البخاري).

المسألة الأخرى أنَّ النَّبي لا يمكن أن يُخالف الله تعالى، ولا ما نزل من القرآن الكريم، وأيضاً فإنَّ معرفة المُنافقين مسألة ليست سهلة، فالله تعالى أعلمَ نبيَّه بهم، فلو كان ابن سلول منهم لما صلى عليه، وأكرمه بتكفينه بثوبه، ولا يمكن لعمر أو غيره معرفة المُنافقين لأنَّ الله تعالى الذي يعلمهم أعلم بهم نبيَّه، بل إنَّ الروايات نفسها تُشير إلى أنَّ عمر كان يسأل حُذيفة أمين سرّ النَّبيّ إن كان هو منهم، أي عمر، وبالتالي لا يمكن قبول التفاسير التي وصلتنا بشأن بعض الآيات، ولا الروايات المُسيئة، بل إنَّ مجرد صلاة النَّبيّ صلى الله وبارك عليه ووالديه وآله على ابن سلول رضي الله عنه فهي تشفع له، وهي شهادة بصلاحه، وليس غير ذلك.

- **قولهم إنَّ معه شيطان قرين، وإنه سُحِر**، وهذا ورد في بعض ما نُسب إلى النَّبيّ من الأحاديث[75]، وصدَّقها الناس رغم أنَّها تُناقض صريح القُرآن، وتطعن في العِصمة النَّبويَّة، فالذي يكون معه قرين هو من يَعشُ عن ذكر الرحمن[76]، وفكرة أنَّ النَّبيّ تعرَّض للسّحر أيضاً[77]، وأنَّه ظلَّ شهوراً عديدةً غير واعٍ عن نفسه، تضع الإسلام كلّه

---

[75] عن عائشة أم المؤمنين:] أنَّ رَسولَ اللهِ ﷺ خَرَجَ مِن عِندِها لَيْلًا، قالَتْ: فَغِرْتُ عليه، فَجاءَ فَرَأى ما أَصْنَعُ، فَقالَ: ما لَكِ؟ يا عائِشَةُ أَغِرْتِ؟ فَقُلتُ: وَما لي لا يَغارُ مِثْلِي على مِثْلِكَ؟ فَقالَ رَسولُ اللهِ ﷺ: أَقَدْ جاءَكِ شيطانُكِ قالَتْ: يا رَسولَ اللهِ، أَوْ مَعِيَ شيطانٌ؟ قالَ: نَعَمْ قُلتُ: وَمع كُلِّ إنْسانٍ؟ قالَ: نَعَمْ قُلتُ: وَمعكَ؟ يا رَسولَ اللهِ، قالَ: نَعَمْ، وَلَكِنْ رَبِّي أَعانَنِي عليه حتّى أَسْلَمَ.(صحيح مسلم).

[76] وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ الرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ (الزخرف – الآية 36).

[77] عَنْ عائِشَةَ قالَتْ: سُحِرَ النبيُّ ﷺ، حتّى كانَ يُخَيَّلُ إلَيْهِ أنَّه يَفْعَلُ الشَّيْءَ وما يَفْعَلُهُ، حتّى كانَ ذاتَ يَومٍ دَعا ودَعا، ثُمَّ قالَ: أشَعَرْتِ أنَّ اللَّهَ أفْتانِي فِيما فيه شِفائِي، أتانِي رَجُلانِ: فَقَعَدَ أحَدُهُما عِنْدَ رَأْسِي والآخَرُ عِنْدَ رِجْلَيَّ، فَقالَ أحَدُهُما لِلْآخَرِ ما وجَعُ الرَّجُلِ؟ قالَ: مَطْبُوبٌ، قالَ: ومَن طَبَّهُ؟ قالَ لَبِيدُ بنُ

في مأزقٍ كبير، فهل نزلت آيات خلال هذه الفترة؟، وهل تدخَّل بها هذا الشيطان؟ وهل فعل النَّبي أفعالاً لا تليق بالنُّبوّة كونه تحت وطأة هذا الشيطان؟ وإذا كان النَّبيّ نفسه يُرقّي المُؤمنين ويُعلّمهم مُقاومة الشيطان معنوياً وماديَّاً فكيف يقع هو نفسه تحت سلطته؟!، حتَّى لو كان ذلك لفترة مُعيَّنة فقط، ألم يقرأ المسلمون القرآن الكريم وما يقوله تعالى عن هؤلاء الظالمين الذين يعتقدون بمثل بسحر النَّبيّ؟[78] إنَّ مثل هذه الروايات لا تستقيمُ أبداً، وليس الهدف منها إلا الطَّعن بالجناب المُحمَّدي عظيم القدْر، والتَّشكيك بالوحي الإلهي، والقُرآن الكريم، لهذا يُمكن ردّ هذه الاتّهامات بسهولة، ولا يجوز التَّفكير أصلاً بقبولها بغضّ النَّظر عمن رواها، وأين وردت.

الأعْصَمِ، قالَ: فِيما ذا، قالَ: في مُشُطٍ ومُشاقَةٍ وجُفِّ طَلْعَةٍ ذَكَرٍ، قالَ فأيْنَ هُوَ؟ قالَ: في بئْرِ ذَرْوانَ فَخَرَجَ إلَيْها النبيُّ ﷺ، ثُمَّ رَجَعَ فَقالَ لِعائِشَةَ حِينَ رَجَعَ: نَخْلُها كَأنَّهُ رُؤُوسُ الشَّياطِينِ فَقُلتُ اسْتَخْرَجْتَهُ؟ فَقالَ: لا، أمّا أنا فقَدْ شَفانِي اللَّهُ، وخَشِيتُ أنْ يُثِيرَ ذلكَ على النّاسِ شَرًّا ثُمَّ دُفِنَتِ البِئْرُ.(صحيح البخاري).

78 نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَسْتَمِعُونَ بِهِ إِذْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ وَإِذْ هُمْ نَجْوَىٰ إِذْ يَقُولُ الظَّالِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا (الإسراء – الآية 47).

- **اتّهامه بحبّ زوجة ابنه بالتَّبنّي**، وهذا ما جاء في التَّفاسير المُسيئة للآية القُرآنية في سورة الأحزاب[79]، وذلك للفهم القاصر للنَّص القُرآني، ومقاصده، والاكتفاء بالتَّأويلات الَّتي وصلتنا، والتفاسير الَّتي تعتمد على الروايات المنقولة والمنحولة الَّتي كرَّرها المُفسّرون ورُواة الأحاديث في أغلب أمهات كتب الشّيعة والسُّنَّة على السَّواء، رغم أنَّها تطعن بالعِصمة النَّبويَّة، وتُظهر أنَّ النَّبيّ صاحب الخُلق العَظيم، يُبطن في نفسه حبَّ زينب بنت جحش التي كانت في عصمة ابنه بالتَّبنّي زيد بن حارثة وحرصه على طلاقها منه، ويخاف اظهار ذلك للنَّاس، والحقيقة غير ذلك، فإنّ الله تعالى أعلم النَّبي أنّ هذه السَّيدة ستكون زوجته في قادم الأيام بعد أن يُطلّقها زوجها، وأشار

[79] وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَاهُ ۖ فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا ۚ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا (الأحزاب – الآية 37).

تعالى إلى عظمة النبي إذ له نِعمة مثل نِعم الله، وأنَّه قال لزيد: أمسك عليك زوجك واتّق الله، فكيف يقول المُفسرون إنّه أراد طلاقها منه ليتزوّجها؟ وكيف يعلم المفسرون ما في قلب رسول الله حينما يفترون بالقول "إن هواها وقع في قلبه"..؟

إنَّ هدف مثل هذه الآيات التوضيح للمسلمين بأنَّ الزَّواج من النّساء اللواتي كنَّ متزوجات من أبنائهم بالتَّبني ليس أمراً محرّماً، أي هو نوعٌ من التَّشريع لإبطال دعوى الجاهلية في الأدعياء، فزيد في النهاية ليس ابنه بالنسب، ولهذا وردت آية تشير إلى أن النَّبيّ ليس أباً لأحد من رجالهم[80]، لإبطال هذا الأمر، كما أنَّ هذا الزواج من السَّيدة زينب هو أمر إلهي بالنَّص القُرآني الواضح "زوَّجْناكَها"، لكنَّ ما وصلنا من التَّفاسير والروايات أمرٌ مُعيبٌ ومُسيء جدَّاً لا يُمكن قبوله.

---

[80] مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَۗ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا (الأحزاب – الآية 40).

- **قولهم إنَّ الشَّيْطان ألقى على لسانه بعض الآيات**، ومن ذلك "تلك الغرانيق العُلى، وإنّ شفاعتهنّ لتُرتجى"[81] وهذا من أكبر الإساءات والخطايا بحقّ النَّبيّ العظيم، والله يقول إنَّه لا ينطق عن الهوى[82]،وذلك في السورة نفسها التي نسبوا إليها الآيات الشيطانية فكيف سمحَ بعض المُفسّرين والرُّواة لأنفسهم بمثل هذه الإساءات التي تطعن بالعصمة النَّبويّة، وتُناقض كلام الله تعالى.

إنَّ مثل هذه الاتهامات تفتحُ الباب على مصراعيه للتَّشكيك بالنُّبوَّة والقرآن الكريم، وأنَّ بعض ما ورد فيه قد يكون تسرَّب تحت وطأة

---

[81] إنَّ رسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ قرأَ: {أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّى (19) وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَى} [النجم: 19، 20]، تلك الغَرانيقُ العُلَى، وإنَّ شَفاعتَهنَّ لَتُرْتَجى. ففرِحَ المُشرِكونَ بذلك وقالوا: قد ذكَرَ آلهتَنا، فجاءه جِبريلُ فقال: اقرَأْ عليَّ ما جِئْتُ به، فقرأَ: {أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّى (19) وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَى} [النجم: 19، 20]، تلك الغَرانيقُ العُلَى، وإنَّ شَفاعتَهنَّ لَتُرْتَجى، فقال: ما أتَيْتُك بهذا، هذا مِن الشَّيطانِ، فأنزَلَ اللهُ: {وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى} [الحج: 52] الآيةَ. الراوي:عبدالله بن عباس المحدث:الشوكاني.

[82] وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ * إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ (النجم – الآية 3).

مثل هذه الأحوال الَّتي يتدخَّل فيها الشيطان على لسان النَّبيّ، والعياذ بالله ممَّا يقولون.

- **قولهم إنَّ النَّبيّ يَهجُر**، وهذا بعض ما ورد في صحيح مُسلم من طلب النَّبي الكتف والدواة ليكتب للمسلمين كتاباً لن يضلُّوا بعده أبداً، لكن عمر بن الخطاب حسب ما وصلنا، رفض ذلك وقال "إنَّه يَهجر"، أي يّهذي[83]، وفي مثل هذه المنقولات من التراث إساءات كبرى، ومن ذلك مُخالفة النَّبي العظيم في بعض ما يطلب، وبالطَّبع فإنَّ مثل هذه المخالفة قد توعَّد الله صاحبها

[83] عن سعيد بن جبير: عَنِ ابْنِ عَبّاسٍ، أنَّهُ قالَ: يَوْمُ الخَمِيسِ، وَما يَوْمُ الخَمِيسِ ثُمَّ جَعَلَ تَسِيلُ دُمُوعُهُ، حتّى رَأَيْتُ على خَدَّيْهِ كَأنَّها نِظامُ اللُّؤْلُؤِ، قالَ: قالَ رَسولُ اللهِ ﷺ: ائْتُونِي بالكَتِفِ والدَّواةِ، أَوِ اللَّوْحِ والدَّواةِ، أَكْتُبْ لَكُمْ كِتابًا لَنْ تَضِلُّوا بَعْدَهُ أَبَدًا، فَقالوا: إنَّ رَسولَ اللهِ ﷺ يَهْجُرُ. (صحيح مسلم).

بالويل والثُّبور[84]، والأمر الثاني، الإدّعاء بأنَّ النَّبيّ يَهذي، أي أنَّه غير مُسيطرٍ على نفسه، وعلى ما يقول، وهذه كارثة كبرى أيضاً إذ أنها تنسف العصمة، ومن المُلاحظ أنَّ أغلب المُخالفات الَّتي وردتْ بحقّ النَّبيّ كانت من قبل عمر بن الخطاب[85]، كما نقلتها لنا المُدوّنات السُّنّيَّة المُعتمدة، وفي هذا إساءة للخليفة الثاني،

[84] لَّا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُم بَعْضًا ۚ قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنكُمْ لِوَاذًا ۚ فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (النور – الآية 63).

[85] عن عبدالله بن عباس: لمّا حضر رسولُ اللهِ ﷺ وفي البيتِ رجالٌ وفيهم عمرُ بنُ الخطابِ رضيَ اللهُ عنهُ قال النبيُّ ﷺ: أكتُبُ لكم كتابًا لن تضلُّوا بعدَهُ أبدًا فقال عمرُ: إنَّ رسولَ اللهِ ﷺ قد غلب عليهِ الوجَعُ وعندنا القرآنُ حسبنا كتابُ اللهِ فاختلف أهلُ البيتِ فاختصموا فمنهم من يقولُ قرِّبوا يُكتبُ لكم كتابًا لا تضلُّوا بعدَهُ وفيهم من يقولُ ما قال عمرُ، فلمّا أكثروا اللَّغوَ والاختلافَ عند رسولِ اللهِ ﷺ قال رسولُ اللهِ ﷺ: قوموا قال عبدُ اللهِ: وكان ابنُ عباسٍ يقولُ: إنَّ الرَّزيَّةَ كلَّ الرَّزيَّةَ ما حال بين رسولِ اللهِ ﷺ وبين أن يُكْتَبَ لهم ذلك الكتابُ من اختلافهم ولَغَطِهِمْ (مسند أحمد).

ولرجل محسوب من الصَّحابة المُقرَّبين في الوقت نفسه، فكيف نوازن بين مثل هذه المنقولات، وماذا نأخذ منها وماذا نرد؟!.

- **قولهم إنّه شَّكَّ في إحياء الموتى**، وهذا ما ورد في بعض الأحاديث المنسوبة للنَّبيّ الكريم الَّتي تشير إلى أنَّ إبراهيم عليه السلام شكَّ في إحياء الموتى حينما سأل الله أن يُريه ذلك[86]، وأنَّ النَّبيّ محمد صلى الله وبارك عليه وآله قال "نحنُ أولى بالشَّكّ من إبراهيم"[87]

[86] وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَىٰۖ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِنۖ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِيۖ قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًاۚ وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (البقرة – الآية 260).

[87] حدثنا أحمد بن صالح ، حدثنا ابن وهب ، أخبرني يونس ، عن ابن شهاب ، عن أبي سلمة وسعيد ، عن أبي هريرة ، رضي الله عنه ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " نحن أحق بالشك من إبراهيم ، إذ قال : رب أرني كيف تحيي الموتى ؟ قال : أولم تؤمن . قال : بلى ، ولكن ليطمئن قلبي " (البخاري، مسلم).

وهذه من التفاسير الَّتي لا يمكن قبولها، فلا نبي الله إبراهيم عليه السلام قال كلامه شكّاً بقدرة الله، ولا يمكن قبول نسبة الحديث إلى النبي العظيم في أنّه أولى بالشَّكّ من إبراهيم، بل إنَّ هذه الآيات تحتاج إلى تدبر خالص بعيداً عن الأحاديث الواردة التي تطعن في عصمة الأنبياء وتسيء إلى مقاماتهم ودرجة إيمانهم.

- **قولهم إنَّه كان يطوف على نسائه**، في الليلة الواحدة بغُسلٍ واحدٍ[88]، وفي هذا إساءة للمقام المُحمَّدي الطَّاهر، وتناقضٌ لما شهد الله تعالى له في القرآن بأنّه كان يقوم الليل[89]، فهل نصدّق الله تعالى أم مرويات البخاري ومسلم في هذا الأمر؟!، رغم أنَّ ما يفعله مع زوجاته حقٌّ له بالطبع، لكن المقصود من مثل هذه المرويَّات أنَّه كان شهوانياً

---

[88] عن أنس بن مالك: أنَّ النبيَّ ﷺ كانَ يَطُوفُ على نِسائِهِ بغُسْلٍ واحِدٍ.(صحيح مسلم) وفي (البخاري) هناك زيادة "وله تسع نسوة".

[89] إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِن ثُلُثَيِ اللَّيْلِ وَنِصْفَهُ وَثُلُثَهُ وَطَائِفَةٌ مِّنَ الَّذِينَ مَعَكَ (المُزمّل - الآية 20).

ومنشغلاً بالملذَّات وغافلاً عن العبادات، ولا يأبه بالغُسل من الجنابة، فكيف يكون ذلك لمن وصفه الله بالخلق العظيم، والأسوة الحسنة للعالمين؟! والعياذ بالله مما يتقوّلون.

- **قولهم إنَّه ساهم في تخريب موسم النخيل** لأهل المدينة حينما استشاروه في موضوع تأبير النَّخل[90]، وهذه المرويّات تظهر أنَّ فتيان أهل المدينة وأيّ أحد من مزارعيها أكثر خبرة في شؤون الحياة من النَّبيّ نفسه، وأنَّ ظنَّه كان خاطئاً، فما المقصود من مثل هذه الحكايات إلا أنَّها تطعن في النَّبيّ نفسه، وتُظهره عاجزاً في شؤون الدنيا؟! رغم أنَّ الله تعالى يختار أكثر الناس علماً وخُلقاً

[90] عن طلحة بن عبيدالله: مرَرْتُ مع النبيِّ ﷺ في نَخْلِ المدينةِ فرأى أقوامًا في رؤوسِ النَّخْلِ يُلقِّحون النَّخْلَ فقال: ما يصنعُ هؤلاء قال: يأخذون مِنَ الذَّكَرِ فيحُطُّون في الأُنثى يُلقِّحون به فقال: ما أظنُّ ذلك يُغني شيئًا فبلغهم فتركوه ونزلوا عنها فلم تَحْمِل تلك السنةَ شيئًا فبلغ ذلك النبيَّ ﷺ فقال: إنما هو ظنٌّ ظننتُه إنْ كان يُغني شيئًا فاصنعوا فإنما أنا بشرٌ مثلُكم والظنُّ يُخطئُ ويُصيبُ ولكنْ ما قلتُ لكم قال اللهُ عز وجل فلنْ أكذبَ على اللهِ.(مسند أحمد).

ومعرفةً في زمانه ليكون رسولاً إليهم يعلمهم شؤون دينهم ودنياهم،[91] وحتَّى إن كان بلا معرفة مسبقةٍ في موضوعٍ معين، فإنّ الله يُعلّمه، فهو يتواصل معه مباشرة، [92]فلم مثل هذه الإساءات غير المقبولة بتاتاً حتَّى لو قالها لنا فلان الصَّحابي الكبير إلى علان الثقة بسندٍ متَّصل فإنّها تظل في إسنادها ظنّية الثبوت ومنكرة في متنها، وحتَّى لو صدح بها شُيوخ السوء من على المنابر، فإنَّها لا تأخذ الشرعيَّة في الصحَّة والقُبول.

- **قولهم إنَّه حاول الانتحار**بأنْ كان يريد أن يُرْدي نفسه من شاهق حينما تأخَّر عليه الوحي[93]، وهذه المرويَّات من التُّرهات الَّتي لا

---

[91] هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولا مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ (الجمعة – الآية 2).

[92] قُلْ مَا كُنتُ بِدْعًا مِّنَ الرُّسُلِ وَمَا أَدْرِي مَا يُفْعَلُ بِي وَلَا بِكُمْ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ وَمَا أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ (الأحقاف – الآية 9).

[93] (من حديث طويل عن عائشة أم المؤمنين) ... وفَتَرَ الوَحْيُ فَتْرَةً حتَّى حَزِنَ النبيُّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ، فِيما بَلَغَنَا، حُزْنًا غَدَا منه مِرَارًا كَيْ يَتَرَدَّى مِن رُؤُوسِ

يُمكن قبولها بحقِّ النَّبي العظيم، وهي تسيء إلى أم المؤمنين عائشة التي لم تحضر نزول الوحي، ولا يمكن أن يحدثها النبي العظيم أو يحدث غيرها أنه كان يريد أن ينتحر لتأخر الوحي عنه وهو القائل كنت نبيا وآدم منجدل في طينته[94]، والأولى ردّ مثل هذه الأحاديث جملة وتفصيلاً، علماً بأن الآيات القرآنية تفند مثل هذه الإدعاءات[95]، فالنَّبي هو الأسوة الحسنة، وأولى بالمؤمنين من أنفسهم، ومصدر الرحمة والطمأنينة لهم فكيف يفكر ولو لوهلة بمثل هذا الفعل الذي يودي بصاحبه إلى جهنَّم؟ وكيف سمحت لهم أنفسهم بنقل مثل هذه المرويَّات المسيئة لمقامه العظيم؟!.

شَوَاهِقِ الجِبَالِ، فَكُلَّما أوْفَى بذِرْوَةِ جَبَلٍ لِكَيْ يُلْقِيَ منه نَفْسَهُ تَبَدَّى له جِبْرِيلُ، فَقالَ: يا مُحَمَّدُ، إنَّكَ رَسولُ اللَّهِ حَقًّا، فَيَسْكُنُ لِذلكَ جَأْشُهُ، وتَقِرُّ نَفْسُهُ، فَيَرْجِعُ، فَإِذَا طَالَتْ عليه فَتْرَةُ الوَحْيِ غَدَا لِمِثْلِ ذلكَ، فَإِذَا أوْفَى بذِرْوَةِ جَبَلٍ تَبَدَّى له جِبْرِيلُ فَقالَ له مِثْلَ ذلكَ.(صحيح البخاري).

[94] رواه أحمد

[95] مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ (الضحى – الآية 3).

- **قولهم إنَّه كان ينسى القرآن**، وأنَّ رجلاً مجهولاً ذكَّره به[96]، والله تعالى يقول في كتابه غير ذلك[97]، لكن مثل هذه المرويات كما ذكرنا هدفها الإساءة للنَّبيّ، وكلُّ من يقبلها بحقّ النَّبيّ عليه مراجعة محبَّته له، ومعرفته بقدْره العظيم.

- **قولهم إنَّه خاف من الوحي** حينما نزل عليه أوَّل مرَّة، **و أنَّه ذهب إلى كاهن ليستفتيه فيما حدث معه[98]**، وهذا من المَرويَّات

---

[96] عن عائشة أم المؤمنين: سمِعَ النَّبيُّ ﷺ رَجلًا يَقرأُ آيةً، فقال: رحِمَه اللهُ، لقد ذكَّرَني آيةً كُنْتُ أُنْسيتُها.(البخاري).

[97] سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰ (الأعلى – الآية 6).

[98] عن عائشة أم المؤمنين: كانَ أَوَّلُ ما بُدِئَ به رَسولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وسلَّمَ مِنَ الوَحْيِ الرُّؤْيا الصَّادِقَةَ في النَّوْمِ، فَكانَ لا يَرَى رُؤْيا إلَّا جاءَتْ مِثْلَ فَلَقِ الصُّبْحِ، ثُمَّ حُبِّبَ إلَيْهِ الخَلاءُ، فَكانَ يَخْلُو بغارِ حِراءٍ يَتَحَنَّثُ فِيهِ، وهو التَّعَبُّدُ، اللَّيالِيَ أُوْلاتِ العَدَدِ، قَبْلَ أنْ يَرْجِعَ إلى أهْلِهِ ويَتَزَوَّدُ لذلكَ، ثُمَّ يَرْجِعُ إلى خَدِيجَةَ فَيَتَزَوَّدُ لِمِثْلِها، حتَّى فَجِئَهُ الحَقُّ وهو في غارِ حِراءٍ، فَجاءَهُ المَلَكُ، فقالَ: اقْرَأْ،

قالَ: ما أنا بقارِئٍ، قالَ: فأخَذَنِي، فَغَطَّنِي حتَّى بَلَغَ مِنِّي الجَهْدَ، ثُمَّ أرْسَلَنِي، فقالَ: اقْرَأْ، قالَ: قُلتُ: ما أنا بقارِئٍ، قالَ: فأخَذَنِي، فَغَطَّنِي الثَّانِيَةَ حتَّى بَلَغَ مِنِّي الجَهْدَ، ثُمَّ أرْسَلَنِي، فقالَ: أقْرَأْ، فَقُلتُ: ما أنا بقارِئٍ، فأخَذَنِي، فَغَطَّنِي الثَّالِثَةَ حتَّى بَلَغَ مِنِّي الجَهْدَ، ثُمَّ أرْسَلَنِي، فقالَ: {اقْرَأْ باسْمِ رَبِّكَ الذي خَلَقَ (١) خَلَقَ الإنْسانَ مِن عَلَقٍ (٢) اقْرَأْ ورَبُّكَ الأَكْرَمُ (٣) الذي عَلَّمَ بالقَلَمِ (٤) عَلَّمَ الإنْسانَ ما لَمْ يَعْلَمْ} [العلق: ١ - ٥]، فَرَجَعَ بها رَسولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وسلَّمَ تَرْجُفُ بَوادِرُهُ، حتَّى دَخَلَ علَى خَدِيجَةَ، فقالَ: زَمِّلُونِي زَمِّلُونِي، فَزَمَّلُوهُ حتَّى ذَهَبَ عنْه الرَّوْعُ، ثُمَّ قالَ لِخَدِيجَةَ: أيْ خَدِيجَةُ، ما لي وأَخْبَرَها الخَبَرَ، قالَ: لقَدْ خَشِيتُ علَى نَفْسِي، قالَتْ له خَدِيجَةُ: كَلَّا أبْشِرْ، فَواللَّهِ، لا يُخْزِيكَ اللَّهُ أبَدًا، واللَّهِ، إنَّكَ لَتَصِلُ الرَّحِمَ، وتَصْدُقُ الحَدِيثَ، وتَحْمِلُ الكَلَّ، وتُكْسِبُ المَعْدُومَ، وتَقْرِي الضَّيْفَ، وتُعِينُ علَى نَوائِبِ الحَقِّ، فانْطَلَقَتْ به خَدِيجَةُ حتَّى أتَتْ به ورَقَةَ بنَ نَوْفَلِ بنِ أسَدِ بنِ عبدِ العُزَّى، وهو ابنُ عَمِّ خَدِيجَةَ أخِي أبِيها، وكانَ امْرَءًا تَنَصَّرَ في الجاهِلِيَّةِ، وكانَ يَكْتُبُ الكِتابَ العَرَبِيَّ، ويَكْتُبُ مِنَ الإنْجِيلِ بالعَرَبِيَّةِ ما شاءَ اللَّهُ أنْ يَكْتُبَ، وكانَ شيخًا كَبِيرًا قدْ عَمِيَ، فقالَتْ له خَدِيجَةُ: أيْ عَمِّ، اسْمَعْ مِنَ ابْنِ أخِيكَ، قالَ ورَقَةُ بنُ نَوْفَلٍ: يا ابْنَ أخِي، ماذا تَرَى؟ فأخْبَرَهُ رَسولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وسلَّمَ خَبَرَ ما رَآهُ، فقالَ له ورَقَةُ: هذا النَّامُوسُ الذي أُنْزِلَ علَى مُوسَى صَلَّى اللَّهُ عليه وسلَّمَ، يا لَيْتَنِي فيها جَذَعًا، يا لَيْتَنِي أكُونُ حَيًّا حِينَ يُخْرِجُكَ قَوْمُكَ، قالَ رَسولُ

المُسيئة أيضاً الَّتي تُظهر النَّبيّ الحقّ الَّذي يتَّصل بالحقّ تعالى، ويتنزّل القرآن على قلبه فلا يتصدّع، بأنَّه فوجىء بالوحي، وارتجف، وذهب ليتدثَّر بالفراش جاهلاً ما حدث معه، لهذا يستعين بزوجته السَّيّدة خديجة، فتُحيله إلى أحد أقربائها كي يفتيه في أمره، وفي هذا إساءة للنَّبيّ العظيم وللسيَّدة خديجة وقريبها ورقة بن نوفل أيضاً. فالنّبيّ لا يخاف ولا يرتعد ويحتمل ما لا تحتمله الجبال، وكان ينتظر نزول الوحي عليه بعد تحنثّه المتواصل في غار حراء.

اللهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وسلَّمَ: أوَ مُخْرِجِيَّ هُمْ؟ قالَ ورَقَةُ: نَعَمْ لَمْ يَأْتِ رَجُلٌ قَطُّ بما جِئْتَ به إلَّا عُودِيَ، وإنْ يُدْرِكْنِي يَوْمُكَ أنْصُرْكَ نَصْرًا مُؤَزَّرًا. وفي رواية: أوَّلُ ما بُدِئَ به رَسولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وسلَّمَ مِنَ الوَحْيِ وساقَ الحَدِيثَ بمِثْلِ حَديثِ يُونُسَ، غيرَ أنَّه قالَ: فَواللَّهِ، لا يُحْزِنُكَ اللَّهُ أبَدًا، وقالَ: قالَتْ خَدِيجَةُ: أيِ ابْنَ عَمِّ، اسْمَعْ مِنَ ابْنِ أخِيكَ(صحيح مسلم).

- **قولهم إنَّه اتّهم النّبي إبراهيم بأنّه كذب**[99]، وهذه من المرويَّات المنسوبة للنَّبيّ العظيم والتي من المستحيل أن تكون صحيحة، فإنَّه لا يفتري الكذب إلا الذين لا يؤمنون[100]، وهي تُسيء إلى أحد الأنبياء الَّذين يصفهم الله تعالى إنّه كان صدّيقاً نبيّاً[101]، وتسيء إلى النَّبيّ نفسه بأنَّه يطعن في عصمة أحد الأنبياء، فتعالى الله عما يقولون.

- **قولهم إنّ بلالاً سبقه إلى الجنَّة**، وذلك في الحديث المنسوب إلى النَّبيّ العظيم بشأن دخوله الجنَّة واكتشافه لشخص سبقه إليها وهو "بلال الحبشي"[102]، وأنَّ السَّبب في هذا التكريم أنَّه كان

---

[99] عن أبي هريرة: لَمْ يَكْذِبْ إبْراهِيمُ إلّا ثَلاثًا.(صحيح البخاري).

[100] إِنَّمَا يَفْتَرِي الْكَذِبَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِۖ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْكَاذِبُونَ (النَّحل – الآية 105).

[101] وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَۚ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا (مريم – الآية 41).

[102] أصبحَ رسولُ اللَّهِ صلَّى اللَّهُ علَيهِ وسلَّمَ فدعا بلالًا فقالَ : يا بلالُ بمَ سبقتَني إلى الجنَّةِ ؟ ما دخلتُ الجنَّةَ قطُّ إلَّا سَمِعْتُ خَشخشتَكَ أمامي ، دخلتُ البارحةَ

يتوضّأ حينما يُحدث ويصلّي ركعتين، إنَّ مثل هذا الحديث وطريقة سرده تُسيء إلى المقام المُحمَّدي العالي بلا شكّ، إذ تظهر النَّبي لا يعرف من دخل الجَّنَّة قبله من قومه، وهو رسول ربَّ العالمين، وصاحب الشفاعة، يوم يعضَّ الظالم على يديه ويقول يا ليتي اتَّخذت مع "الرَّسول" سبيلاً، كما تُظهر أنَّ أحد أتباعه في موضعٍ يَسبقه إليه، وأنَّه لم يكن يعرف من سبقه، ولا السَّبب، فكيف يظهرون الرسول لا يعرف شيئاً من أمر الطهارة ويعرفها بعض أتباعه أكثر منه؟!.

الجنَّةَ فسَمِعْتُ خَشخشتَكَ أمامي ، فأتيتُ على قصرٍ مربَّعٍ مشرفٍ من ذَهَبٍ ، فقلتُ : لمن هذا القصرُ ؟ قالوا : لرجلٍ منَ العربِ ، فقلتُ : أَنا عربيٌّ ، لمن هذا القصرُ ؟ قالوا لرجلٍ من قُرَيْشٍ ، فقلتُ : أَنا قُرشيٌّ ، لمن هذا القصرُ ؟ قالوا : لرجلٍ من أمَّةِ محمَّدٍ صلَّى اللَّهُ علَيهِ وسلَّمَ ، قلتُ : أَنا محمَّدٌ لمن هذا القَصرُ ؟ قالوا : لعُمرَ بنِ الخطَّابِ . فقالَ بلالٌ : يا رسولَ اللَّهِ ما أذَّنتُ قطُّ إلَّا صلَّيتُ رَكْعتينِ ، وما أصابَني حدَثٌ قطُّ إلَّا توضَّأتُ عندَها ورأيتُ أنَّ للَّهِ عليَّ رَكْعتينِ . فقالَ رسولُ اللَّهِ صلَّى اللَّهُ علَيهِ وسلَّمَ : بِهِما.(صحيح الترمذي).

- **قولهم بموافقات الله لعمر في ثلاثة مواضع**[103]، إنَّ قراءة في هذه الأحاديث الَّتي تشير إلى هذه المُوافقات تظهر تناقضها

[103] قالَ عُمَرُ: وافَقْتُ اللَّهَ في ثَلَاثٍ، أوْ وافَقَنِي رَبِّي في ثَلَاثٍ، قُلتُ: يا رَسولَ اللَّهِ لَوِ اتَّخَذْتَ مَقَامَ إبْرَاهِيمَ مُصَلًّى، وقُلتُ: يا رَسولَ اللَّهِ، يَدْخُلُ عَلَيْكَ البَرُّ والفَاجِرُ، فلوْ أمَرْتَ أُمَّهَاتِ المُؤْمِنِينَ بالحِجَابِ، فأنْزَلَ اللَّهُ آيَةَ الحِجَابِ، قالَ: وبَلَغَنِي مُعَاتَبَةُ النبيِّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ بَعْضَ نِسَائِهِ، فَدَخَلْتُ عليهنَّ، قُلتُ: إنِ انْتَهَيْتُنَّ أوْ لَيُبَدِّلَنَّ اللَّهُ رَسوله صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ خَيْرًا مِنْكُنَّ، حتَّى أتَيْتُ إحْدَى نِسَائِهِ، قالَتْ: يا عُمَرُ، أما في رَسولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ ما يَعِظُ نِسَاءَهُ، حتَّى تَعِظَهُنَّ أنْتَ؟ فأنْزَلَ اللَّهُ :(عَسَى رَبُّهُ إنْ طَلَّقَكُنَّ أنْ يُبَدِّلَهُ أزْوَاجًا خَيْرًا مِنْكُنَّ مُسْلِمَاتٍ) الآيَةَ وقالَ ابنُ أبِي مَرْيَمَ، أخْبَرَنَا يَحْيَى بنُ أيُّوبَ، حدَّثَني حُمَيْدٌ، سَمِعْتُ أنَسًا، عن عُمَرَ.(الراوي : أنس بن مالك - المصدر :صحيح البخاري).

قال عُمَرُ بنُ الخَطَّابِ :وافَقَني ربِّي في ثلاثٍ -أوْ: وافَقْتُ ربِّي-. قُلْتُ: يا رسولَ اللهِ، لوِ اتَّخَذْتَ مِن مَقامِ إبراهيمَ مُصَلًّى، فنَزَلَتْ: {وَاتَّخِذُوا مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى} [البقرة: 125]. وقُلْتُ: يا رسولَ اللهِ، لو حَجَبْتَ النِّساءَ، فنَزَلَتْ آيةُ الحِجابِ. والثَّالثةُ: لَمَّا ماتَ عبدُ اللهِ بنُ أُبَيٍّ جاءَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم لِيُصَلِّيَ عليه، قُلْتُ: يا رسولَ اللهِ، تُصَلِّي على هذا الكافرِ المُنافِقِ؟! فقال: إيهًا عنك يا

إضافة بالطبع إلى طعنها بالعصمة النَّبويّة، وإظهار أنّ أحد أتباع النَّبيّ أعلى منه شأناً، وأكثر قوة في الحّق، فاعتراضه مثلاً على الصلاة على ابن سلول، على أساس أنَّ الرجل منافق وكافر، كما تشير المرويَّات، تُظهر معرفة عمر بن الخطاب بأمر لا يعرفه النَّبيّ، وأنَّه اطلع على قلب ابن سلول وكشف عنه الحجاب فوجده مُنافقاً وكافراً، بينما لا يعرف النَّبيّ ذلك ويقوم بالصلاة عليه!، ثمَّ إنَّ هذا الحديث يشير إلى أنَّ النَّبي العظيم نهى "عمر" عن وصف الرجل بالمنافق، فجاء القرآن ينهى النَّبي عن الصلاة على المنافقين، وهذا يدلُّ على أنَّ الآية نزلت بعد صلاة النَّبيَ وليس قبلها، هذا على افتراض نفاق الرجل مثلاً، ثم إنَّ أيّ مُسلم لا يمكن أن يقبل القول بأنَّ النَّبيّ قد خالف الله تعالى، فكيف تستوي مثل هذه المرويَّات ونقبلها لمجرّد الانتصار لعمر، أو

ابنَ الخَطَّابِ، فنَزَلَتْ: {وَلَا تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ مَاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَى قَبْرِهِ} [التوبة: 84] (الراوي : أنس بن مالك - المصدر، تفسير القرآن لابن كثير).

للحديث على أساس أنّه مرويّ في البُخاري، ونتغاضى عن الكوارث المُسيئة فيه للنَّبيّ العظيم؟

- **قولهم إن الله أمر النّبيّ بقتال الناس**[104]، ومن ذلك نقلهم بعض المرويَّات الَّتي تشير إلى أنَّ الله أمر النَّبيّ بمقاتلة "الناس" على

---

[104] أُمِرْتُ أنْ أُقاتِلُ النَّاسَ حتَّى يَشْهَدُوا أنْ لا إلَهَ إلَّا اللَّهُ، ويُؤْمِنُوا بي، وبِما جِئْتُ به، فإذا فَعَلُوا ذلكَ، عَصَمُوا مِنِّي دِماءَهُمْ، وأَمْوالَهُمْ إلَّا بحَقِّها، وحِسابُهُمْ علَى اللَّهِ.(صحيح مسلم، الرواي أبو هريرة).

وهناك رواية أخرى لهذا الحديث في صحيح البخاري برواية أنس بن مالك "أُمِرْتُ أنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حتَّى يقولوا لا إلَهَ إلَّا اللَّهُ، فَإِذَا قَالُوهَا، وصَلَّوْا صَلَاتَنَا، واسْتَقْبَلُوا قِبْلَتَنَا، وذَبَحُوا ذَبِيحَتَنَا، فقَدْ حَرُمَتْ عَلَيْنَا دِمَاؤُهُمْ وأَمْوَالُهُمْ، إلَّا بحَقِّهَا وحِسَابُهُمْ علَى اللَّهِ.

ورواية ثالثة في صحيح مسلم برواية جابر بن عبدالله " أُمِرْتُ أنْ أُقاتِلَ النَّاسَ حتَّى يقولوا: لا إلَهَ إلَّا اللَّهُ، فإذا قالوا: لا إلَهَ إلَّا اللَّهُ عَصَمُوا مِنِّي دِماءَهُمْ، وأَمْوالَهُمْ إلَّا بحَقِّها، وحِسابُهُمْ علَى اللهِ، ثُمَّ قَرَأَ: {إنَّما أنْتَ مُذَكِّرٌ (21) لَسْتَ عليهم بمُصَيْطِرٍ} [الغاشية: 21، 22].

العموم، من أجل أن يُسلموا، وهذه المرويات تتناقض بشكل صريح مع القرآن الكريم في حريَّة الدّين[105]، وأنه ما على الرسول إلا البلاغ، لا بل بعض الروايات تشير إلى أن بداية الحديث أمر بالقتال، ونهايته إيراد للآية القرآنية التي تطلب من الرسول العظيم التذكير فقط أو البلاغ وأنّه ليس عليهم بمسيطر، فكيف يستقيم هذا التناقض؟

- **قولهم إنَّ النَّبي قد جُعِل رزقه تحت رمحه[106]**، وهذه المرويَّات التي تُسيء إلى النبي العظيم وتظهره غازياً وناهباً لأرزاق النَّاس بالقوّة وحدّ السَّيف، كأنَّه أحد رجال العصابات، والعياذ بالله

---

[105] لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّۚ فَمَن يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لَا انفِصَامَ لَهَاۗ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (البقرة – الآية 256).

[106] عن عبدالله بن عمر:بُعثتُ بينَ يدَي الساعةِ بالسيفِ حتى يُعبدَ اللهُ وحدَه لا شريكَ له وجُعِل رزقي تحتَ ظلِّ رمحي وجُعِل الذُّلُّ والصغارُ على مَن خالف أمري ومن تشبَّهَ بقومٍ فهو منهم.(مسند أحمد).

مما يقولون، فكيف يقبل المسلمون اليوم الاستمرار في سرد مثل هذه المرويَّات على منابر مساجدهم، وفي قنواتهم الفضائيَّة، ومحاضراتهم الجامعية؟!،وأي نموذج يقدمونه للأجيال الجديدة؟.

ونكتفي بهذا القدر من المرويات التي وصلتنا، بغض النظر عن صِحَّة أسانيدها، وصِدقيّة رواتها، فإنَّ متنها قد يتناقضُ مع صحيح القرآن، أو يطعن بالعِصمة النَّبوية أو الاثنين معا، إضافة إلى أنَّها اجتهادات بشريَّة في جمعها وتوثيقها لهذا تبقى ظنّيَّة الثُبوت، وليست مثل النَّصَ القُرآني قطعيّ الثبوت، أما الدلالات فهي مفتوحة للتدبّر والتأويل والتفسير بعد الترتيل للآيات بالطبع، كلٌّ حسب ما يفتح الله به عليه إن صدقت نيته وحسنت أخلاقه، واجتهد في معرفة الحقيقة.

لا ناسخ ولا منسوخ في القرآن

هذا موضوعٌ خطيرٌ بحاجة إلى بعض التفصيل هنا، وهو قول معظم الفُقهاء والمُفسّرين إنَّ بعض آيات القرآن الكريم قد نُسخت، أي تمَّ تعطيلها، وكأنَّها لم تُنزَّل من عند الله، بناءا على فهمهم لما أسموه آية النسخ في سورة البقرة الآية 106 "ما ننسخ من آية أو ننسها نأت بخير منها أو مثلها". إذ فسَّروا الآية هنا بمعنى آية قرآنية بينما السياق الذي وردت فيه يعني المعجزة الكونية. والكارثة التي يقولون بها إنَّ بعض الأحاديث المنسوبة إلى النَّبيّ هي التي نسخت هذه الآيات، فهل يقول الله تعالى شيئاً ثم يتراجع عنه؟!، وهو الذي لا يبدَّل القولُ لديه[107]. وقد جعلوا النَّسخ على ثلاثة أنواع[108]: فهناك نسخ رسم الآية وحُكمها، ونسخ رسم الآية دون حكمها، ونسخ حكم الآية دون رسمها.

---

[107] مَا يُبَدَّلُ الْقَوْلُ لَدَيَّ وَمَا أَنَا بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ (ق – الآية 29).

[108] أنظر إبن حزم الأندلسي: الناسخ والمنسوخ في القرآن العظيم.

والحقيقة أنّ القبول بالنسخ للآيات يُعطّل القُرآن، ويُشّوش على النّاس دينهم، لأنَّ كلام الله تعالى لا يتبدّل، وليس عُرضة للشَّطْب "لا مبدّل لكلماته"[109]، وأنّ علينا فهم مسألة أنّ المقصود بالنسخ هو "نسخ الآيات الكونية" أي المعجزات التي مُنحت للرسل السَّابقين، مثل عصا موسى، واحياء الموتى لعيسى، وغيرها، ومن الملاحظ أنَّ كلمة "آية" وردت غالباً في القرآن بمعنى: مُعجزة، أو علامة خارقة، أو عبرة، أو موعظة، وليس بمعنى آية قرآنية فحسب، أما المسألة الأخرى فهي أننا نرى بأنّ النص القرآنيّ مُقدَّس ولكنَّ مسألة تفسيره وفهم آياته قضيَّة بشريَّة ومفتوحة على التَّأويل، وقد تُصيب وتُخطىء. ناهيك أنّ القبول بوصفتهم في النسخ ستجعل المجال رحباً للتَّشكيك في القرآن الكريم نفسه، إذ كيف تكون هناك آيات غير مكتوبة في

[109] وَاتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِن كِتَابِ رَبِّكَ ۖ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ (الكهف - الآية27)، وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا ۚ لَّا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ ۚ (الأنعام – الآية 115).

القرآن الكريم الذي بين أيدينا وبقي حكمها فاعلاً؟!، وهل هذا ادعاء مُبطّن بالنقص في القرآن الذي بين أيدينا؟

وقد عدَّ بعض الباحثين نحو 202 آية في القرآن قيل إنَّه تمَّ نسخها، وفي أغلب هذه الآيات تكمن القيم العليا للآخلاق وحُسن التَّعامل بين النَّاس والتسامح، فكيف سمحوا لأنفسهم بشطب هذه الآيات من كتاب الله وتعطيلها تبعاً لفهمهم الخاطىء لآية النسخ؟

كما أن بعض المتشدّدين في الدّين قد طبّقوا هذا الأمر على آية في القرآن أطلقوا عليها "آية السيف، رغم إختلافهم في تحديدها!"[110] وقاموا بشطب الكثير من الآيات في القرآن الكريم بحجة أنها منسوخة بهذه الآية، علماً بأنّ مفردة "السيف" لم ترد ولا مرّة في القرآن الكريم، أما بعض الآيات التي تمَّ نسخها بهذه الآية حسب حجتهم فعلى سبيل

---

[110] فَإِذَا انسَلَخَ الْأَشْهُرُ الْحُرُمُ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَاحْصُرُوهُمْ وَاقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ ۚ فَإِن تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (التوبة – الآية 5).

المثال لا الحصر: "فإن تولوا فإنَّما عليك البلاغ" الآية 20 آل عمران، وقولوا للناس حسناً" البقرة 83، "لا إكراه في الدين" البقرة 256، "وَإِن جَنَحُواْ لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ" الأنفال: 61، فذكِّرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ - لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُسَيْطِرٍ، الغاشية 22، لكم دينكم ولي دين" الكافرون 6" ، "خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين" الأعراف 199، وهذه الآية الأخيرة كما يرى ابن حزم من عجيب المنسوخ، لأنّ أولها منسوخ وآخرها منسوخ وأوسطها محكم...!

تعالى الله عمَّا يصفون.

لا عذابَ في القبر

ثمَّة الكثير من الأحاديث والتَّفسيرات الخاطئة في المنقولات التي وصلتنا تتحدَّث عن وجود عذابٍ في القبر للكفّار وحتى لصغار المُذنبين[111]، أي عذاب مادّيّ للجسد[112]، وتتفنَّن بعض الروايات في وصف هذا العذاب الذي يقوم به بعض الملائكة أو"الشُّجاع الأقرع"، وهو ثعبان ضخم، بمجرد مغادرة أقرباء الراحل القبر بعد الدفن، وبالطبع هناك أيضاً ما يُسمى بسؤال القبر وهو أقرب إلى التَّحقيق

---

[111] عن أبي هريرة: أكثَرُ عَذابِ القبرِ في البَولِ (مسند أحمد).

[112] عَنْ عائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْها: أنَّ يَهُودِيَّةً دَخَلَتْ عَلَيْها، فَذَكَرَتْ عَذابَ القَبْرِ، فَقالَتْ لَها: أعاذَكِ اللَّهُ مِن عَذابِ القَبْرِ، فَسَأَلَتْ عائِشَةُ رَسولَ اللَّهِ ﷺ عن عَذابِ القَبْرِ، فَقالَ: نَعَمْ، عَذابُ القَبْرِ قالَتْ عائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْها: فَما رَأَيْتُ رَسولَ اللَّهِ ﷺ بَعْدُ صَلّى صَلاةً إلّا تَعَوَّذَ مِن عَذابِ القَبْرِ.(صحيح البخاري).

الأمني بشكلٍ مخيف، والذي نراه هنا أنَّ مثل هذه المرويات والتفاسير غير مقبولة، وتُناقض صريح القرآن الكريم لأسباب كثيرة منها:

- إنَّ وجود حياة في القبر يعني أنَّ الميت لم يمت، وأنَّه حيٌّ لكن داخل قبره، وهذا يتنافى مع فِكرة الموت أساساً.
- إنَّ جثامين الموتى عند بعض الشعوب يتمُّ إحراقها وذرّ رمادها في البحار والهواء، فكيف يتمُّ تعذيب الجسد في هذه الحالة؟ وماذا عن شخص ابتلعه تمساح مثلاً أو تقطعت أشلاؤه في الحرب؟!.
- إنَّ بعض القبور عند بعض الشعوب لا تكون تحت الأرض بل في بناء مرتفعٍ وبشكل طوابق، لهذا يُمكن سماع صراخ المُتوفَّى أو مشاهدته إن كان حيَّاً داخل قبره أو يتمّ تعذيبه جسدياً كما يقولون، وخصوصاً لبعض الشخصيات من الملوك والقادة الذين يتم تحنيطهم وعرضهم على العامة في المتاحف، ولم تُسجل حادثة واحدة عبر التاريخ في التعذيب لهؤلاء الراحلين.
- إنَّ واقع الحال يُشير إلى أنَّ الجسد يتعفَّن ويتحلَّل، وتأكله كائنات الأرض لكلِّ الموتى ما عدا بعض الصالحين والشهداء ممن

يُكرمهم الله ببقاء أجسادهم غير مُتحلّلة، وهؤلاء أصلاً ليسوا من أصحاب عذاب القبر على افتراض أنَّه واقع.

- إنَّ الكثير من الآيات القرآنية، وتُعدَّ بالمئات، تشير إلى أنَّ الحساب لكلّ البشر يكون في يوم القيامة بعد البعث[113]، وليس

---

[113] كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِۗ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِۖ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَۗ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ (آل عمران – الآية 185).

إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ أَنَّ لَهُم مَّا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لِيَفْتَدُوا بِهِ مِنْ عَذَابِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَا تُقُبِّلَ مِنْهُمْۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (المائدة – الآية 36).

لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِۙ وَمِنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍۗ أَلَا سَاءَ مَا يَزِرُونَ (النحل – الآية 25).

وَمَن يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِۖ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُمْ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِهِۖ وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّاۖ مَّأْوَاهُمْ جَهَنَّمُۖ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَاهُمْ سَعِيرًا (الإسراء – الآية 97).

وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًاۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَاۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَاسِبِينَ (الأنبياء – الآية 47).

بشكل فردي لكلّ شخص في قبره. وإنَّ مسألة العذاب في القبر والمُحاسبة كما وصلتنا في بعض الأحاديث تناقض وجود يوم القيامة أصلاً والحساب والبعث، وما جاء به تعالى في قرآنه الكريم.

- إنَّ بعض البشر قد ماتوا منذ آلاف السنين، وبعضهم سيموت قبل يوم القيامة بيوم مثلاً فهل من العدالة أن يُعذَّب شخصٌ آلاف السنين وشخص آخر لمدَّة يوم مثلاً؟ إذ من البديهي أن الله تعالى هو مطلق العدل، ولا يقبل أن يظلم أحداً.

لقد أفردنا لهذا الأمر مثل هذه التفصيلات لما له من أثر نفسيّ كبيرٍ عند الكثير من المسلمين اليوم، فهناك حالات لأمراضٍ نفسية حدثت بفعل التَّرهيب الذي يجري بشكل ممنهج على المنابر وفي المحاضرات والكتب لأهوال عذاب القبر، ولهذا يجب حسم هذه المسألة بالقول

وَلَوْ أَنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَافْتَدَوْا بِهِ مِن سُوءِ الْعَذَابِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ۚ وَبَدَا لَهُم مِّنَ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ (الزمر – الآية 47).

إنَّه لا يوجد عذاب حسّي لجسد الميت في القبر، بل إنَّ المحاسبة تتمّ في اليوم الآخر حين تُعاد إليهم الحياة الكاملة، فمن شاء الله عاقبه وأدخله جهنّم، ومن شاء غفر له وأدخله الجنَّة، وأما مسألة "آل فرعون" التي وردت في القرآن، وأنَّهم يُعرضون على النَّار بُكرة وعشيَّاً، فهذا أمر يختصُّ بهؤلاء القوم المحدَّدين وليس بغيرهم، والذي نراه أن "العرض" هنا يكون للنفس وليس للجسد، كما أن أيّة أهوال يتعرض لها الراحلون من الكُفَّار والأشقياء يكون أيضاً للنفس، وليس للجسد الماديّ الذي يبلى بعد رحيله صاحبه.

وهذه المسألة، أي عذاب القبر، من الأمور التي أبعدت العباد عن حبّ الله الرؤوف الرحيم[114] اللطيف بعباده[115]. وسبّبت الكثير من النفور من دين الله بدلاً من التبشير به، إضافة إلى إصابة الكثيرين بالقلق النفسيّ من فكرة التعذيب في القبر، والخوف من ملاقاة الله بدلاً من الشوق إليه، والذي نراه أنَّ الدين الذي جاءت به كلُّ الرسل يدعو

[114] نَبِّئْ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ (الحجر- الآية 49).

[115] اللَّهُ لَطِيفٌ بِعِبَادِهِ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ (الشورى – الآية 19).

إلى حُسن التعامل المفضي إلى الحبّ، لذلك فإنَّ الجزاء يكون في الآخرة على العمل وليس في الدنيا أو في القبر كما أسلفنا.[116]

---

[116] وَتِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ (الزخرف – الآية 72).

لا قَتْلَ للمُرتدّ

أظهرنا من قبل بعض الإشارات الصَّريحة لحريَّة الإيمان والكُفْر، وأنَّه لا عقاب على الارتداد عن الدّين في الحياة الدُّنيا وأمره متروكٌ في يوم الحساب لربّ العالمين[117]، والذي نراه أنَّ بعض ما نُسب إلى النَّبيَ العظيم من أحاديث هو الذي جعل الكثير من المُسلمين يُؤمنون بقتل المرتد، وجعلوه حدَّاً من حدود الإسلام المحمّدي[118]، رغم مُناقضته الصَّريحة للنَّصّ القرآني، فكيف يتمُّ قتل الوثني أو الزّنديق كما ورد في هذه الأحاديث بل تحريقه، لمجرد أنّه

---

[117] وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَٰئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِۖ وَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِۖ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (البقرة – الآية 217).

[118] عن عبدالله بن عباس: أنَّ عَلِيًّا رَضِيَ اللَّهُ عنْه، حَرَّقَ قَوْمًا، فَبَلَغَ ابْنَ عَبّاسٍ فَقالَ: لو كُنْتُ أنا لَمْ أُحَرِّقْهُمْ لأنَّ النبيَّ ﷺ قالَ: لا تُعَذِّبُوا بعَذابِ اللَّهِ، ولَقَتَلْتُهُمْ كما قالَ النبيُّ ﷺ: مَن بَدَّلَ دِينَهُ فاقْتُلُوهُ.(صحيح البخاري).

لا يدين بدين الإسلام؟، وكيف يمكن قبول قتل من يُبدّل دينه، رغم أنَّ الله تعالى يُعطي الحريَّة في الإيمان والكفر عبر آيات كثيرة..؟!.[119]

إنَّ مثل هذه الروايات المنسوبة بعضها إلى الإمام علي عليه السلام تُسيء إليه، وتظهره جاهلاً بأحكام الشريعة المحمَّدية، رغم أنَّ النَّبي العظيم أشار أكثر من مرَّة إلى أنَّه "باب مدينة العلم"[120]، وأنَّه منه

---

[119] لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّۚ (البقرة – الآية 256).

وَقُلِ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْۖ فَمَن شَاءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاءَ فَلْيَكْفُرْ (الكهف – الآية 29).

وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَن فِي الْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًاۚ أَفَأَنتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ (يونس – الآية 99).

[120] عن عبدالله بن عباس: أنا مدينةُ العلْمِ، وعلِيٌّ بابُها، فمن أرادَ العلْمَ فليأْتِ البابَ.(السيوطي – الجامع الصغير).

بمنزلة هارون من موسى[121]، وأنَّه مولى المُؤمنين[122]، وغيرها، ولا نرى إلا أنَّ مثل هذا الحديث مكذوب عليه.

فحديث "من بدَّل دينه فاقتلوه" يُوجد تناقضٌ في متنه، إذ يتحدَّث بالمُطلق عن أيّ دين، فلو افترضنا أنَّ كافراً أراد أنْ يدخل في الإسلام، أي يُبدّل دينه "الكفر" إلى الإسلام، فالمَطلوب قتله، وليس التَّرحيب به وهكذا، ولكن لو كان الحديث من بدَّل دين الإسلام بدين غيره فاقتلوه ربَّما يستقيم المعنى هنا رغم مُناقضته لصريح القرآن.

لهذا فإنَّ الذي نراه أنَّ الارتداد عن الإسلام لا يستوجب القَتل، وأنّه لا يوجد حدٌّ إلهي ينبغي تطبيقه في هذا الأمر ، كما أنه يجب التحرّي أولاً للتأكد من الردَّة، فلا يجوز تكفير أحد أو اتهامه بالردّة ما لم يكن

---

[121] عن سعد بن أبي وقاص: خَلَّفَ رَسولُ اللهِ ﷺ عَلِيَّ بنَ أَبِي طالِبٍ في غَزْوَةِ تَبُوكَ، فَقالَ: يا رَسولَ اللهِ، تُخَلِّفُنِي في النِّساءِ والصِّبْيانِ؟ فَقالَ: أَما تَرْضى أَنْ تَكُونَ مِنِّي بمَنْزِلَةِ هارُونَ مِن مُوسى؟ غيرَ أنَّهُ لا نَبِيَّ بَعْدِي.(صحيح مسلم).

[122] عن زيد بن أرقم أو حذيفة بن اسيد: مَن كنْتُ مَوْلاهُ فعلِيٌّ مَوْلاهُ. (الترمذي، مسند أحمد، وغيرهم).

الأمر صريحاً وباعتراف منه، وضمن أدلة واضحة، وليس عند كلّ شبهة.

لا رجم للزَّاني

مصطلح "الزّنا" الوارد في القرآن يعني اتخاذ "الزّنا" مهنة يُعتاش منها، أي المواقعة الكاملة بين رجلٍ وإمرأةٍ من غير عقدٍ شرعيّ، وبشكلٍ علنيّ بحيث يستطيع أربعة شهداء رؤية هذه العمليَّة بشكلٍ لا لبس فيه، وأخذ الرجل أو المرأة أجراً على ذلك. وقد أوضح الله تعالى أنَّهُ "فاحشةً وساءَ سبيلاً"[123]، لهذا فإنَّ معنى الزَّاني الذي لا ينكح "أي لا يتزوَّج" إلَّا من "زانية" أو مُشركةٍ كما ورد في القرآن، أي الشخص الذي يشتغل بمهنة الزّنا، وهي "مُمارسة الدَّعارة" بالمفهوم المتعارف عليه حالياً بشكل علني، فهذه مهنة بعض الرّجال، وبعض النِساء منذ فجر التاريخ، وكانت بعض النساء المُشتغلات بالزّنا عند العرب يتميّزن عن غيرهن من الحرائر بوضع راية حمراء على خبائهن لإشهار هذا الأمر، لذلك فإنَّ "الزنا" بالمّعنى الشرعي هو قبول المُمارسة الجِنسيّة بأجرٍ

[123] وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَاۖ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا (الإسراء – الآية 32).

وبشكلٍ علنيّ ومُتكرّر، وقد أوضح الله تعالى عقاب من يفعل ذلك أو من تفعل ذلك، لأنَّ "الزّنا" ليس مقصوراً على النّساء فحسب، بل يستوي في ذلك الرجل والمرأة، إذ لا يجب السماح لمن تثبت مُمارسته للزّنا من الرجال بالزواج من النساء المؤمنات العفيفات، وكذلك المرأة الزانية لا يتمُّ قبول زواجها من رجلٍ مؤمنٍ عفيف[124]، بل يتزوّجُ كلٌّ منهما من أهل مهنته المُشتغلين بالزنا، أو من المشركين، كما أنَّ العُقوبة لا تتمُّ إلا بأربعة شهداء كما أوضحنا، أما العقوبة الواردة في النصّ القُرآني فهي جلد الزَّانية أو الزَّاني مِائة جلدة بحضور مجموعةٍ من المؤمنين[125]، وقيل إنَّ معنى طائفة من واحد إلى ألف، أي أقلها حضور شخص واحد لهذه العقوبة، فإنَّ في ذلك تعريف للمجتمع

---

[124] الزَّانِي لَا يَنكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَالزَّانِيَةُ لَا يَنكِحُهَا إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ ۚ وَحُرِّمَ ذَٰلِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ (النور – الآية 3).

[125] الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ ۖ وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ۖ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَائِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ (النُّور – الآية 2).

بمثل هؤلاء بحيث يمتنع المؤمنون عن تزويجهم، فإقامة الحدّ إشهار وعقوبة في الآن نفسه.

فإن جاء ثلاثة شهود فقط ورأوا المواقعة الجسديَّة كاملة بين رجل وامرأة من غير عقد شرعي فإنّه لا يُعتبر "زنا" يَقتضي الحدّ، ويُكتب هؤلاء الشهداء عند الله من الكاذبين، وتتم عقوبتهم بالجلد ثمانين جلدة.[126] ولا تقبل لهم شهادة بعد ذلك أبداً. والسؤال الذي يطرح نفسه هنا: لماذا اعتبرهم الله من الكاذبين إذ لو حضر معهم رجلٌ رابعٌ لأصبحت شِهادتهما مقبولةً تماماً رغم أنَّ الحالة التي أمامهما لم تتغير؟!

لعلَّ في هذا الأمر حكمة، وهي أنَّ الله تعالى جعل الحدَّ بين ما يمكن اعتباره "زنا" أي ممارسة لمهنة وجود أربعة شهداء على الأقل، لكي يتأكد ولي الأمر الذي يطبق الحدَّ أنَّ الأمر أصبح علانيةً، وأنّ الزَّاني يُمارس هذا الأمر بلا حياءٍ أو خجل، وقبِلَ وجود أربعة أشخاص على

[126] وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا ۚ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ (النور – الآية 4).

الأقل لمشاهدة أفعاله، فإن كانوا أقل من ذلك، فإنَّ فعل "الزنا" كمهنة والذي يوجب إقامة الحدّ قد يدخل فيه الشك، وهذا نوع من التحوّط في تطبيق الحدود، والتأكد التّام من الفعل الجرمي والنيّة المبيتة، ودرس لمن يريد تطبيق الحدود أن يتريّث طويلاً قبل ذلك، فإنَّ وصم رجل أو امرأة بالزنا ليس بالأمر الهيّن أبداً لما له من تبعات.

ولكنَّ قائلاً سيقول فما عقوبة من تفعل ذلك أو يفعل ذلك ممَّا هو من الممارسة الجنسيَّة الصريحة بين رجل وامرأة بشكل غير شرعي، وبشهادة أقل من أربعة شهداء؟

لا شكَّ أنَّ هذه المُمارسة تدخل في باب الذنوب، ولا تنسجم مع الأخلاق الحميدة، وتتنافى مع الالتزام بالعقد الزوجيّ بين الرجل والمرأة إن كان أحدهما مُحصَّناً أو الإثنين معاً، أو لم يكونا كذلك، فإن تمَّ الأمر في السرّ ولم يطلع عليه أحد، فعليهما الاستغفار لربّ العالمين، فإن شاء غفر لهما وإن شاء عذبهما يوم الدّين، أما إذا كُشف الأمر بشكل أو بآخر، فإنَّه يُترك أمر العقاب للحاكم أو القاضي، لكن ينبغي أن لا يصل الحكم إلى حدّ الزّنا، وللرجل المُتضرّر من الأمر أو المرأة

طلب الخُلع من الآخر إنْ لم يستطع تحمَّل مثل هذا الأمر أو الصَّفح عنه، فالحياة الزوجيَّة يجب أن تقوم على المودَّة والرحمة والسَّكينة، ولا تندرج أيَّة مُمارسة جنسيّة بين شخصين من غير عقد، سواءً كانا محصنين أو غير محصنين، وسواء كانت هذه الممارسة كاملةً أو منقوصةً، تحت بند "الزّنا" إلا بوجود أربعة شهداء كما أسلفنا، ما عدا ضبط الزوج لزوجته أو الزوجة لزوجها في حالة الممارسة الجنسيَّة الكاملة مع رجل أو امرأة من غير عقد شرعيّ، فتعتبر شهادة أحدهما كأربع شهادات.[127] ومع ذلك على هذا الزوج أن يحلف بالله العظيم أربع مرّات إنَّه من الصَّادقين، ومرَّة خامسةً أنَّ لعنة الله عليه إن كان من الكاذبين، أمَّا الزوجة المتَّهمة بالزنَّا فإنَّها تستطيع النجاة من إقامة الحدّ عليها بالحلف أربع مرات إنَّه من الكاذبين، وفي المرَّة الخامسة تحلف بأنَّ لعنة الله عليها إن كان من الصادقين.

---

[127] وَالَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَاجَهُمْ وَلَمْ يَكُن لَّهُمْ شُهَدَاءُ إِلَّا أَنفُسُهُمْ فَشَهَادَةُ أَحَدِهِمْ أَرْبَعُ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ ۙ إِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ (النور – الآية 6).

وبالطبع فإنَّ الله تعالى يُشهد المرء على نفسه هنا، ويحمّله المسؤولية الكاملة عن هذا الحلف، وما يجرُّ خلفه من ويلات إن كان كذباً، فكيف يمكن أن يقبل رجل أو امرأة أن يلعنه الله إن افترى الكذب..؟!.

الآن نأتي إلى موضوع الرّجم للزاني أو الزانية الذي يحاول الكثيرون أن يجعلوه من الدَّين، ومن حدود الله وما هو كذلك، ولم يذكر أبداً في النصَّ القرآني الصريح، فمن أين تسرّب إذا إلى الحدود؟ وأصبح الناس يظنّون أنَّ الله أمر به، وكم من روح بريئة تمَّ إزهاقها بمثل هذا الحد..؟!.

ثمَّة حديث آحاد جعله "مسلم" في صحيحه فيما قام بتضعيفه وإنكاره كثير من الفقهاء وعلماء الحديث من القدماء والمحدثين، وهو يتعلَّق بماعز بن مالك الأسلمي الذي جاء معترفاً بأنَّه زنى فنسبوا إلى الرسول الكريم أنّه أمر برجمه، وكذلك فعلت المرأة الغامديَّة التي جاءت معترفة بأنَّها زنت وطلبت من النبي أيضاً أن يطهّرها،[128] وهذا

---

[128] عن بريدة بن الحصيب الأسلمي: أنَّ ماعِزَ بنَ مالِكٍ الأسْلَمِيَّ، أَتى رَسولَ اللَّهِ ﷺ، فَقالَ: يا رَسولَ اللَّهِ، إنِّي قدْ ظَلَمْتُ نَفْسِي، وَزَنَيْتُ، وإنِّي أُرِيدُ أَنْ تُطَهِّرَنِي،

الحديث لا يستقيم أبداً، فكيف يروي شخص ما عن هذا اللقاء الخاص بين رجل جاء إلى رسول الله معترفا بالزنا، وتابع الأمر

فَرَدَّهُ، فَلَمّا كانَ مِنَ الغَدِ أَتاهُ، فَقالَ: يا رَسولَ اللهِ، إنِّي قدْ زَنَيْتُ، فَرَدَّهُ الثّانِيَةَ، فأرْسَلَ رَسولُ اللهِ ﷺ إلى قَوْمِهِ، فَقالَ: أَتَعْلَمُونَ بعَقْلِهِ بَأْسًا، تُنْكِرُونَ منه شيئًا؟ فَقالوا: ما نَعْلَمُهُ إلّا وَفِيَّ العَقْلِ مِن صالِحِينا فِيما نُرى، فأتاهُ الثّالِثَةَ، فأرْسَلَ إليهِم أَيْضًا فَسَأَلَ عنْه، فأخْبَرُوهُ أنَّهُ لا بَأْسَ به، وَلا بعَقْلِهِ، فَلَمّا كانَ الرّابِعَةَ حَفَرَ له حُفْرَةً، ثُمَّ أَمَرَ به فَرُجِمَ. قالَ، فَجاءَتِ الغامِدِيَّةُ، فَقالَتْ: يا رَسولَ اللهِ، إنِّي قدْ زَنَيْتُ فَطَهِّرْنِي، وإنَّه رَدَّها، فَلَمّا كانَ الغَدُ، قالَتْ: يا رَسولَ اللهِ، لِمَ تَرُدُّنِي؟ لَعَلَّكَ أَنْ تَرُدَّنِي كما رَدَدْتَ ماعِزًا، فَواللَّهِ إنِّي لَحُبْلى، قالَ: إمّا لا فاذْهَبِي حتّى تَلِدِي، فَلَمّا وَلَدَتْ أَتَتْهُ بالصَّبِيِّ في خِرْقَةٍ، قالَتْ: هذا قدْ وَلَدْتُهُ، قالَ: اذْهَبِي فأرْضِعِيهِ حتّى تَفْطِمِيهِ، فَلَمّا فَطَمَتْهُ أَتَتْهُ بالصَّبِيِّ في يَدِهِ كِسْرَةُ خُبْزٍ، فَقالَتْ: هذا يا نَبِيَّ اللهِ قدْ فَطَمْتُهُ، وَقَدْ أَكَلَ الطَّعامَ، فَدَفَعَ الصَّبِيَّ إلى رَجُلٍ مِنَ المُسْلِمِينَ، ثُمَّ أَمَرَ بها فَحُفِرَ لَها إلى صَدْرِها، وَأَمَرَ النّاسَ فَرَجَمُوها، فيُقْبِلُ خالِدُ بنُ الوَلِيدِ بحَجَرٍ، فَرَمى رَأْسَها فَتَنَضَّحَ الدَّمُ على وَجْهِ خالِدٍ فَسَبَّها، فَسَمِعَ نَبِيُّ اللهِ ﷺ سَبَّهُ إيّاها، فَقالَ: مَهْلًا يا خالِدُ، فَوالَّذِي نَفْسِي بيَدِهِ لقَدْ تابَتْ تَوْبَةً لو تابَها صاحِبُ مَكْسٍ لَغُفِرَ له. ثُمَّ أَمَرَ بها فَصَلّى عَلَيْها، وَدُفِنَتْ.

بالتفاصيل حتَّى تمَّ الرَّجْم، ثم يحضر لقاء للنَّبي مع الغامديَّة ثم يتابعها حتَّى تلد ويراها تدخل إلى الرسول ويحضر المجلس، ثم حتَّى ترضع، ...فمن هو هذا الراوي؟، وأين كان يسكن حينها حتَّى يتابع بدقَّة هذه الحوارات وما دار فيها؟ وكيف يُعتمد عليه في قبول حدّ الرجم أي القتل بطريقة بشعة وبطيئة لامرأةٍ أو رجلٍ على أساس الزّنا، رغم أنَّ الله تعالى أوضح كما أشرنا حدَّ الزنا، وشروطه، وعدد الشهداء وما إلى ذلك، فكيف ينسبون إلى النَّبي العظيم رجمه لهذا الرجل وهذه المرأة دون شهداء، وأين ورد هذا الحدّ في كتاب الله؟!!.

كما اعتمدوا على حديثٍ آخر مرويّ بطرقٍ عديدةٍ مرَّة عن أبي بن كعب ومرّة عن عُمر بن الخطاب وغيرهم يشير إلى آية منسوخة رسماً وبقي حكمها تتحدث عن رجم الشيَّخ والشَّيخة إذا زنيا،[129] والسؤال

[129] عن عبدالله بن عباس: قالَ عمرُ بنُ الخطّابِ: لقد خَشيتُ أن يطولَ بالنّاسِ زمانٌ حتّى يقولَ قائلٌ: ما أجدُ الرَّجمَ في كتابِ اللَّهِ، فيضلُّوا بتركِ فريضةٍ من فَرائضِ اللَّهِ، ألا وإنَّ الرَّجمَ حقٌّ، إذا أُحْصِنَ الرَّجلُ وقامتِ البيّنةُ، أو كانَ حَملٌ

هو : أليست مثل هذه الأحاديث تُشير صراحة إلى نقصٍ في كتاب الله، فأين ذهبت هذه الآية وغيرها، مثل سورة الأحزاب التي كانت تعدل سورة البقرة في مرويَّات أخرى؟ ألا يتعارض هذا مع حفظ الله تعالى للقرآن الكريم؟ وكيف يمكن قُبول حكمٍ لآية غير موجودة أساساً في القرآن الكريم، ولكن حكمها يقضي بقتل إنسان بالرجم؟!.

من المؤكد أنَّ الكثير من المرويَّات المتأخرة قد تسلّلت إلى الإسلام المحمّدي من الفقه المنسوب إلى اليهود الذين دخل بعضهم الإسلام تُقيةً من أجل تدميره من الداخل، فقد رفض أغلبهم قبول النبيّ محمَّداً صلى الله وبارك عليه ووالديه وآله، الذي أتى من خارج دائرتهم المعهودة، وبالتالي فليس لهم إلا العمل على تقويض هذا الدين عبر روايات باهتة ومتهافتة لا تستطيع الصمود طويلاً أمام النصّ القرآني الصريح، وعصمة النّبي، وأخلاقه العظيمة، وسيرته العطرة.

أوِ اعترافٌ، وقد قرأتُها الشَّيخُ والشَّيخةُ إذا زَنَيا فارجُموهما البتَّةَ رجمَ رسولُ اللَّهِ ﷺ ورجَمنا بَعدَهُ (صحيح ابن ماجه).

لا بترَ ليد السَّارِق

من ضمن الأحكام الَّتي نصَّ عليها الله تعالى في كِتابه ما يتعلَّق بالسَّارق، وقد جاءت هذه الكلمة مُعرَّفة، والذي نراه أنَّها تعني الشَّخص الذي يمتهنُ السّرقة، وليس كلُّ من سرق لمرَّة واحدة أو أكثر، بل من ثبتتْ سوء طويَّته، واشتغاله بنهب أموال النَّاس دون أن يكون له أيّ حقّ أو شُبهة حقّ فيها، كَثُرَ المالُ أو قَلَّ، وسواء كان نقداً أم ذهباً أم بِضاعة.

وأن يكون السَّارق بالغاً وعاقلاً وواعياً لما قام به، وغير مُكرهٍ على فعله، أي ليس هناك من يُهدّدُ حياته أثناء الفِعل أو قبله، ولا يهمّ أن يكون المال المسروق قد أتى من حلال أو حرام في أصله، ولا أن يكون أخذه خِفية أو بطرق غير مباشرة، فليس هناك تبرير لفعل السرقة.

وقد جاء في القرآن الكريم أنَّ العقوبة تكون بقطع اليد[130]، والذي نراه أنَّ كلمة "قطع" لا تعني "البتر" في كلّ الحالات التي وردت فيها في القرآن، بل تعني المَنع[131]، ومن ذلك قطع السبيل[132]، أو قطع الأرحام[133]، أو قطع بعض الأمكنة مثل الوديان[134]، أو تأتي بمعنى إحداث جرح في اليد دون قصد كما فعلت النِسْوة حين رأينَ يوسف

---

[130] وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالًا مِّنَ اللَّهِۗ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (المائدة – الآية 38).

[131] فيكون معنى القطع هو منع استمرارية المقطوع عن مواصلة ما هو متعارف القيام به.

[132] أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ وَتَقْطَعُونَ السَّبِيلَ وَتَأْتُونَ فِي نَادِيكُمُ الْمُنكَرَۖ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَن قَالُوا ائْتِنَا بِعَذَابِ اللَّهِ إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ (العنكبوت – الآية 29).

[133] فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ (محمد – الآية 22).

[134] وَلَا يُنفِقُونَ نَفَقَةً صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً وَلَا يَقْطَعُونَ وَادِيًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (التوبة – الآية 121).

عليه السلام[135]، لهذا فإنَّ قطع اليد هنا هو منعه من السَرقة، وهذا الأمر يعود إلى وليّ الأمر أو القاضي المُكلَّف لفهم حالة السارق، وسبب قيامه بالسرقة، فإن كان فقيراً يضطرُّ إلى السرقة ينبغي توفير عمل له ليعتاش منه، بعد إرجاعه المسروقات بالطبع، وإن وجد القاضي أو وليُّ الأمر أنَّ قطع يد السارق عن السرقة تكون بالحبس له ذلك، المهم في الأمر أن يتوقَّف السَّارق عن هذا الفعل ويتوب نهائياً. أمَّا السّرقة بالإكراه وبترويع الناس أي باستخدام السلاح، فهذه مسألة أخرى قد تدخل في باب ما يُسمَّى "الحِرابة"[136] حسب ما حدث فيها من الضرر، فالقاتل يُقتل قصاصاً، وقد خيَّرت هذه الآية ولي الأمر بالعقوبة التي يراها مناسبة لمن يحارب الله ورسوله ويسعى في الفساد،

---

135 فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَأً وَآتَتْ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِّنْهُنَّ سِكِّينًا وَقَالَتِ اخْرُجْ عَلَيْهِنَّ ۖ فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا هَٰذَا بَشَرًا إِنْ هَٰذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ (يوسف – الآية 31).

136 إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم مِّنْ خِلَافٍ أَوْ يُنفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ۚ ذَٰلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا ۖ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ (المائدة – الآية 33).

أي من يُمارس الإرهاب بعيداً عن أخلاق الحرب المُتعارف عليها، فإن كان هناك من قَتَلَ فإنَّه يقتل، أومن صلبَ فإنَّه يُصلب، أو تُقطَّع أيديه وأرجله من خلاف قصاصاً إن فعل مثل ذلك حتى يكون عبرةَ لمن اعتبر، وهنا القطع يعني "البتر" تحديداً، أو النَّفي من المنطقة التي يعيش فيها نهائياً لتخليص المجتمع من شروره، وهذه العقوبات تتمُّ بناء على طبيعة الفعل المقابل دون اعتداء ولا مبالغة، ومن قبل القاضي المكلف، أو وليّ الأمر بناءً على الخيارات التي وضُعت له في الآية الكريمة.

أما مقدار السرقة التي توجب "بتر اليد" حسب ما ورد من الأحاديث المنسوبة إلى النَّبيّ صلى الله وبارك عليه وآله، فقد اختلفت فيها الروايات، فهناك رواية عن أنَّ حد السرقة ربع دينار [137]، وهناك رواية

---

[137] عن عائشة أم المؤمنين: تقطُّعُ يدُ السارقِ في ربعِ دينارٍ فصاعدًا وفي لفظٍ القطُّعُ في رُبعِ دينارٍ فصاعدًا (البخاري، مسلم، الترمذي وغيرهم).

عن سرقة بيضة أو حبل[138]. وما دام أن الروايات مختلفة في مقدار المسروق فإنَّ تطبيق الحدود بهذا الشكل يحتمل الظُّلم لمن يسرق، كما أنَّ التطبيق العملي للخلفاء لاحقاً احتمل اجتهادات كثيرة في مقدار المال المسروق، وبالطبع فإنَّ علاج جريمة مثل السرقة بجريمة أكبر منها أي ببتر اليد اليُمنى، لا يُرى من العدل في شيء، لا سيَّما أنَّ وصمة العار ستظل أبديَّة لمن بترت يده أمام الناس أجمعين حتَّى يتوفاه الله، وحتَّى إن تاب وأصبح من الصالحين فإنَّ التشهير به والأذى النفسي له لا ينتهي أبداً بجريرة حبل أو بيضة، وفي هذا الأمر إغلاق لباب التَّوبة والإصلاح المُجتمعيّ للأفراد، إضافةً إلى أنَّ الطريقة التي وصَفتْ بها المرويّات بتر اليد أمر مُستغرب وشنيع جداً، إذ يتم بتر اليد اليمنى من الرسغ، ثم غمسها بالزَّيت الحار لسدّ العُروق، أي آلام بترٍ حادَّة تتبعها آلام حرقٍ أيضاً لمن يسرق بيضة، إضافة إلى أنَّنا

---

[138] عن أبي هريرة: لَعَنَ اللَّهُ السّارِقَ، يَسْرِقُ البَيْضَةَ فَتُقْطَعُ يَدُهُ، ويَسْرِقُ الحَبْلَ فَتُقْطَعُ يَدُهُ. [وفي رواية]: مِثْلَهُ، غيرَ أنَّه يقولُ: إنْ سَرَقَ حَبْلًا، وإنْ سَرَقَ بَيْضَةً.(صحيح مسلم).

وجدنا اختلافاً كبيراً بين أصحاب الفتاوى في مكان البتر، فبعضهم يقول من الرسغ، وبعضهم من الكوع، وبعضهم من الكتف، وبعضهم من الأصابع فقط، وهكذا من التخبّط الأولى تركه، وتأويل الآية بما وصلنا إليه من أنَّ القطع هو المَنع وليس البتر، ويترك أمر ذلك لوليّ الأمر أو الحاكم القائم على أمر المجتمع، كما أوضحنا.

هذا ما نراه والله أعلم.

لا جَلْدَ لشاربِ الخَمْر

وردت كلمة "الخَمْر" ثلاث مرَّات في القُرآن الكريم مرتبطةً مع كلمة "المَيْسر"، والخمر هو الشراب المُسْكِر سواء صُنع أو خُمّرَ من العِنب أو النَّخيل أو البِرّ أو التُفَّاح أو غير ذلك، وقد أوضح الله تعالى أنَّ الخمر فيه إثمٌ كبير ومنافع للناس، وإثمه أكبر من نفعه[139]، وأنَّه رجسٌ من عمل الشَّيطان يجب اجتنابه[140]، أي الابتعاد عنه، وبيَّن تعالى أنَّه سبيل للشيطان لكي يوقع بين المسلمين العداوة والبغضاء،

---

139 يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ ۖ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا ۗ وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلِ الْعَفْوَ ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ (البقرة – الآية 219).

140 يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (المائدة – الآية 90).

ويصدُّ عن ذكر الله وعن الصَّلاة، متسائلاً تساؤلاً استنكارياً: فهل أنتم منتهون؟[141].

ومن الواضح أنَّ العلَّة في الطلب من المسلم عدم شرب الخمر، هو الوقوع في "السُّكْر" وهي حالة تصل بصاحبها إلى عدم الوعي بما حوله أو الغيبة[142]، وبالتالي قد يقومُ بأفعالٍ أو أقوالٍ من شأنها أن تُسبّب له أو لغيره الأذى، كما أنَّه لا يكون واعياً أثناء أداء الصَّلاة، وبالتَّالي قد يتلفَّظ بأشياء لا تليق بالحالة التي هو عليها من التوجُّه الخالص لله تعالى، لهذا طلب الله جازماً من "الذين آمنوا" عدم أداء الصلوات أثناء السُّكْر" حتَّى يعلموا ما يقولون.[143]

---

[141] إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ (المائدة – الآية 91).

[142] لَقَالُوا إِنَّمَا سُكِّرَتْ أَبْصَارُنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَّسْحُورُونَ (الحجر – الآية 15).

لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ الحجر – الآية 72).

[143] يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنتُمْ سُكَارَى حَتَّى تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ (النساء – الآية 43).

لم يرد تحريم للخمر في آية الأطعمة الشهيرة التي حدّدت بشكل قاطع ما يحرّم على المسلم من الطعام[144]، لهذا فإنّ من يرى أن الاجتناب يأتي بمعنى التحريم نقول له إنَّه لا يوجد مترادفات في القرآن الكريم، أي كلّ كلمة في القرآن لها معاني محدَّدة يفهمها العربي بلغته السليمة، فالنَّهي شيء والتحريم القاطع شيءٌ آخر، والذي يبدو لنا أنَّ الخمر علَّتها في السُّكْرِ وليس في الشُّرب ذاته، وأنَّها في النهاية تحتوي على الإثم ومن عمل الشيطان، وتقود إلى الصَّدّ عن ذكر الله ووقوع العداوة والبغضاء بين الناس، لهذا فإنَّ تركها أولى وأسلم، ومن تقوى القلوب التي تبحث عن السكينة وتتجنَّب الوقوع في الآثام.

---

144 حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ وَأَن تَسْتَقْسِمُوا بِالْأَزْلَامِ ۚ ذَٰلِكُمْ فِسْقٌ ۗ الْيَوْمَ يَئِسَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن دِينِكُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِ ۚ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا ۚ فَمَنِ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِّإِثْمٍ ۙ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (المائدة – الآية 3).

والآن ما حكم من يشرب الخمر كما جاءت به المرويَّات؟ إذ لا حكم له واضح في النصّ القرآني، وإنّما ورد تحذير منه، وبالتالي كونه إثم فإنَّ الله تعالى كفيل بالعقاب عليه أو العفو عنه يوم القيامة، وقد وصلتنا بعض المرويَّات التي تشير إلى التشدّد في العقاب على شارب الخمر بالقتل[145]، وهي اجتهادات بشرّية لا نصّ فيها، ولا تُلزم أحداً، فقتلُ النَّفس البشريَّة مسألة لا ينبغي التهاون معها، أو أخذها بمثل هذه البساطة بحجَّة تطبيق مرويّات لا أصل لها في كتاب الله أو سنَّة رسوله الثابتة.

---

145 عن عبدالله بن عمرو: من شربَ الخمرَ فاجلِدوه ثم إن شرب الخمرَ فاجلدوه ثم إن شرب فاجلدوه ثم إن شرب الرابعةَ فاقتلوه قال فكان عبدُ اللهِ يقولُ ائتوني برجلٍ شرب الخمرَ ثلاثَ مراتٍ فلكم عليَّ أن أضربَ عنقَه. (الطبراني، مجمع الزوائد، الهيثمي).

ثمَّة مرويّات تُشير إلى أنَّ عمر بن الخطاب كان يُريد جواباً شافياً في الخمر ويظل يسأل عن ذلك، وكلُّ مرة تنزل آية بناءً على طلبه..![146]، وكأنَّ الأمة مُختصرة في هذا الرجل، أو أنَّ الله ينزل القرآن من أجله، بل إنَّ هذه الأحاديث الواردة في كتب السنّة تُشير بأصابع الاتهام إليه، وتسيءُ إلى مقامه، فكيف يرضون بترويجها؟ ثم إنَّها روايات متناقضة في سردها فهي تبدأ بالقول "لما نزل تحريم الخمر.." ثم تشير إلى أنَّ عمر ظل يسأل أن يبيّن الله في الخمر بياناً شافياً أي نهائياً، فكيف يطلب ذلك وهو يبدأ المروية بالقول بالتحريم؟

[146] عن عمر بن الخطاب: لَمّا نَزَلَ تحريمُ الخَمرِ قال عُمَرُ: اللَّهُمَّ بَيِّنْ لنا في الخَمرِ بيانًا شِفاءً، فنزلت الآيةُ التي في البقرةِ: {يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ والْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِما إِثْمٌ كَبِيرٌ} الآية، قال: فدُعِيَ عُمَرُ فقُرِئَت عليه، فقال: اللَّهُمَّ بيِّنْ لنا في الخَمرِ بيانًا شِفاءً، فنزلت الآيةُ التي في النِّساءِ {يا أَيُّها الَّذِينَ آمَنُوا لا تَقْرَبُوا الصَّلاةَ وَأَنْتُمْ سُكارى}، فكان منادي رَسولِ اللهِ ﷺ إذا أُقيمَت الصَّلاةُ ينادي: ألا لا يَقرَبَنَّ الصَّلاةَ سَكرانُ، فدُعِيَ عُمَرُ فقُرِئَت عليه، فقال: اللَّهُمَّ بيِّنْ لنا في الخَمرِ بيانًا شِفاءً، فنزلت هذه الآيةُ: {فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ} قال عُمَرُ: انتَهَينا. (سنن أبي داوود، وغيرها).

في كلّ الأحوال لا نرى صحَّةً لمثل هذه المرويَّات، ولا بالحكم الذي اقترحه عمر أيضاً أن يصبح حدّ الخمر ثمانين جلدة بدلاً عن أربعين جلدة، فليس له كبشرٍ عصمة، أو أن يُضيف شيئاً من الحدود أو ينتقص منها شيء[147]، على أنّ ما ورد بحق جلد شارب الخمر أربعين جلدة فيه الكثير من التناقضات، ففي رواية أخرى أنَّ عثمان أمر عليّاً أن يجلد الوليد أربعين جلدة، فهذا أمر لا يستقيم لأسباب كثيرة، وفي كلّ الأحوال نرى أنّ العقاب على الوصول إلى السُّكر العلني، وتعكير صفو المجتمع، والإضرار بسكينته متروك لوليّ الأمر، فقد يتسبب قليله بحوادث مميتة، وهذا ما تقوم به بعض المجتمعات المعاصرة اليوم من فحص للسَّائق وكميّة الخمر وأثرها على السياقة مثلاً، أو تعتقل من يتطوَّح في الشوارع، ويُربك الحياة اليومية للناس، وتقوم بمخالفته بقدر معين من المال، أو السجن، حسب حالته، المهم في النهاية أن يظل المجتمع سليماً ومعافى، أما من

[147] عن علي بن أبي طالب: جلَد رسولُ اللهِ ﷺ أربعين وأبو بكرٍ أربعين وكمَّلها عُمرُ ثمانين وكلٌّ سُنَّةٌ (مسند أحمد).

يرتكب السُّكر في بيته، فليس لأحد حقّ التَّجسّس عليه أو أن يعاقبه في الدنيا، وحسابه على الله تعالى يوم القيامة، ولا يحقّ لولي الأمر أيضاً أن يتجسَّس على الناس ليعرف إن كانوا يشربون الخمر أم لا، ولا أن يتسوّر بيوتهم، فالمرويّات التي وصلتنا عن الخليفة عمر لا ينبغي أن تكون مثالاً يحتذى[148]، بل الأولى انكارها لأنَّ فيها ما هو منهي عنه من الله تعالى، أي التجسُّس، ثم إنَّه لم يقم بمعاقبة الشاربين رغم رؤيته لهم، أي لم يقم عليهم الحدّ، وهذا أمر غير مقبول أيضاً، ويحمل تناقضاً لهذه الرواية التي احتفت بها بعض الكتب.

---

148 عَنِ الْمِسْوَرِ بْنِ مَخْرَمَةَ عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ : أَنَّهُ حَرَسَ مَعَ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِىَ اللَّهُ عَنْهُمَا لَيْلَةً بِالْمَدِينَةِ فَبَيْنَا هُمْ يَمْشُونَ شَبَّ لَهُمْ سِرَاجٌ فِى بَيْتٍ فَانْطَلَقُوا يَؤُمُّونَهُ حَتَّى إِذَا دَنَوْا مِنْهُ إِذَا بَابٌ مُجَافٍ عَلَى قَوْمٍ لَهُمْ فِيهِ أَصْوَاتٌ مُرْتَفِعَةٌ وَلَغَطٌ فَقَالَ عُمَرُ رَضِىَ اللَّهِ عَنْهُ وَأَخَذَ بِيَدِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ فَقَالَ : أَتَدْرِى بَيْتُ مَنْ هَذَا؟ قُلْتُ : لاَ. قَالَ : هَذَا بَيْتُ رَبِيعَةَ بْنِ أُمَيَّةَ بْنِ خَلَفٍ وَهُمُ الآنَ شُرَّبٌ فَما تَرَى. قَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ : أَرَى قَدْ أَتَيْنَا مَا نَهَى اللَّهُ عَنْهُ فَقَالَ (وَلاَ تَجَسَّسُوا) فَقَدْ تَجَسَّسْنَا فَانْصَرَفَ عَنْهُمْ عُمَرُ رَضِىَ اللَّهُ عَنْهُ وَتَرَكَهُمْ.(السنن الكبرى للبيهقي).

لا تحريمَ للفُنون

ينتصرُ الإسلامُ المُحمَّدي لثقافة الحياة، وإعمار الأرض بالخير والمحبَّة والسَّلام، وبالتَّالي فهو يُعلي من شأن الجمال، ويسعى إلى إشاعة الفرح، ونشر الطَّاقة الإيجابية بين أفراد المجتمع، رابطاً كلّ ذلك بالأخلاق كمعيار أساسيّ، وميزانٍ عادلٍ، بحيث لا إسراف يُخلّ بتوازن هذا المجتمع، ولا تجاوز على الأخلاق يمكن أن يؤدي إلى الفجور، أو يسعى لنشر الطَّاقة السَّلبيّة، والعمل على تقويض البُنية الاجتماعية، وإضعاف دور الإنسان خليفة الله في الأرض عن القيام بواجبه فيها.

من هذا المُنطلق يمكن النَّظر إلى الفنون عامّة، كوسيلة لنشر القيم الحَميدة، والتَّرويح عن النفوس المرهقة، وترسيخ ملامح الجمال

والحُسْن والزينة، والطيّبات من الرزق[149] سمعيّاً وبصريَّاَ، وهذا يُساهم بالتالي في ترقيق الشعور، وتهذيب الأحاسيس، والعمل على توازن الفرد، ضمن قيمة الجمال. فالله جميل يُحبُّ الجمال[150]، وهذا حديث منسوب إلى النَّبيّ صلى الله وبارك عليه ووالديه وآله، رغم تضعيف بعض المُحَدّثين له أو تصحيحه في صيغه الكثيرة.

وقد جاء الإسلام المُحمَّدي، والفنون السمعيّة من غناءٍ وموسيقى، والبصريّة من رسمٍ وتلوينٍ ونحت، موجودة عند الأمم التي سبقته، أو التي عاصرته من أمثال الرومان والفرس والأحباش، ومنتشرة في بعض المناطق التي وصل إليها خلال ما يُسمَّى بالفُتوحات، بل وصلت إلى مكَّة والمدينة، وشهد أهلها انتشار القِيان والمعازف، وتعرَّف "الذين

---

[149] قلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ (الأعراف – الآية 32)

[150] عن عبدالله بن مسعود: لا يَدْخُلُ الجَنَّةَ مَن كانَ في قَلْبِهِ مِثْقالُ ذَرَّةٍ مِن كِبْرٍ قالَ رَجُلٌ: إنَّ الرَّجُلَ يُحِبُّ أنْ يَكونَ ثَوْبُهُ حَسَنًا ونَعْلُهُ حَسَنَةً، قالَ: إنَّ اللَّهَ جَمِيلٌ يُحِبُّ الجَمالَ، الكِبْرُ بَطَرُ الحَقِّ، وغَمْطُ النّاسِ. صحيح مسلم.

آمنوا" من أتباع النَّبي العظيم على أغلبها، ولم ترد في القرآن الكريم آيات صريحة أو غير مباشرة في تحريم السَّماع المرتبط بالموسيقا والغناء، ولا ما يتعلق أيضاً بالفنون البصريّة مثل الرسم والتلوين والنحت، أما الفنون المستحدثة في زمننا هذا مثل التمثيل فهذا يندرج تحت مِظلة الفنون البصرية لأن نتيجة التمثيل الظهور على الشاشة التلفزية أو السينمائية أو أية وسيلة أخرى اليوم مثل الهواتف المحمولة وغيرها.

لذا يُمكننا القول على العُموم إنَّ تعامل المسلمين مع أنواع الفنون التي وصلتهم كانت على قاعدة "حَسَنُه حسنٌ وقبيحهُ قبيحٌ". أي إنَّ السياق التي تستخدم فيه هذه الفنون وتوظيفها هو الذي يُحدّد مدى دخولها في خانة الكراهية أو المنهي عنه أو المذموم أو المندوب أو المباح، أما التَّحريم فهو أمرٌ جلل ولا يحقُّ لأحدٍ أن يُحرّم ما لم يرد في كتاب الله بنصّ صريح.

وفيما يتعلق بالفُنون السمعية فإنّنا نجد في الموروث الإسلامي من الأحاديث المنسوبة إلى النَّبي العظيم ما يبيحها أي الغناء واستخدام

الأدوات الموسيقية مثل الدفوف والمزامير[151]، ومن ذلك أنَّه سمع صوت الدَّف والمزمار في بيته من قبل جاريتين فلم يعترض بل إنّ أبا بكر هو الذي اعترض على ذلك، وهذا أمر لا يحقّ له مع وجود رسول الله الذي هو وحي يُوحى، ولا ينطق عن الهوى. لهذا رفضَ النَّبي ما أبداه أبو بكر من احتجاج قائلاً: دعهما يا أبا بكر فإنَّها أيام عيد. وقد أوصى النَّبي صلى الله وبارك عليه ووالديه وآله في مرويّة أخرى منسوبة إليه زوجته السَّيدة عائشة أن تُرسل من يُغنّي في حفل زفاف قريبة لها زُفّت إلى رجلٍ من الأنصار، كما سمح لها بمشاهدة الأحباش وهم يرقصون.

[151] عن جابر بن عبدالله، كان رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ يخطُبُ قائمًا ثم يَجلِسُ، ثم يقومُ فيخطُبُ قائمًا خُطبَتَينِ، فكان الجواري إذا نُكِحوا يَمُرُّونَ بالكَبَرِ والمَزاميرِ، فيشتَدُّ الناسُ ويَدَعوا رسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ قائمًا، فعاتَبَهمُ اللهُ عزَّ وجلَّ فقال: {وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انْفَضُّوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِمًا}. المحدث : شعيب الأرناؤوط - تخريج مشكل الآثار - 1490: إسناده صحيح على شرط مسلم.

وبغضّ النَّظر عن مثل هذه الأحاديث المُبيحة للّهو والمُتع الحِسّية البصرية والسمعية والحركية من موسيقى ورقص وغناء في حدودٍ معيَّنة لا تَهتُّكَ فيها إو إثارةٍ للغرائز، أو دعوةٍ إلى استحلال حرام، أو انتهاك أعراض، أو إذهابٍ للعقل، فإنّ النفس البشرية السويّة كما أسلفنا جُبلت على حُبّ كلّ جميل، والنفور من كلّ قبيح، وهناك آياتٌ كثيرة في كتاب الله تعالى تشير إلى أنَّ بعض مخلوقاته وُجدتْ بهجةً للنّفوس[152]، أو زينة للناظرين[153]، أو فيها جَمَال للناس حين يريحون[154]. بل إنّ الله سبحانه يدعو الناس للتأمّل في خلقهِ، وكيفيّة إبداعه، وتصويره له[155]، فقد خلق الإنسان في أحسن تقويم، وهو

---

[152] أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَّا كَانَ لَكُمْ أَن تُنبِتُوا شَجَرَهَاۗ أَإِلَٰهٌ مَّعَ اللَّهِۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ (النّمل – الآية 60).

[153] وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَزَيَّنَّاهَا لِلنَّاظِرِينَ (الحجر – الآية 16).

[154] وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ (النحل – الآية 6).

[155] أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَت - وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ (الغاشية – الآية 17 - 18).

تعالى أحسن الخالقين[156]، لهذا قد يخلقُ بعض الناس من دونه "إفكاً"[157] أو نُسخاً صُوريّة أو سمعيّة مُقلّدة لخلقِه تعالى، وبالطبع تكون على درجات من الحُسن أو القُبح، فما دام أنَّ الله هو أحسن الخالقين، وهو البديع المُصوّر [158]فإنّ كلّ تقليدٍ لخلقهِ أو مُقاربة لإبداعه لن تصل إلى تخوم ما خلقَ وأبدع، ولكن على الإنسان أن يُتقن عمله، ويجتهد في صنيعه قدر الإمكان، وهذا أمر لا يدخل في باب الحرام أو الممنوع، فقد أوضح الله تعالى أنّ نبيّ الله عيسى بن مريم عليه السلام قد خلق بإذنه تعالى من الطين كهيئة الطير .[159]

---

[156] فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ (المؤمنون – الآية 14).

[157] إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا ۚ (العنكبوت – الآية 17).

[158] صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ ۚ إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ (النمل – الآية 88).

[159] إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ اذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَالِدَتِكَ إِذْ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ تُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا ۖ وَإِذْ عَلَّمْتُكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَاةَ وَالْإِنجِيلَ ۖ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِي ۖ وَتُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ بِإِذْنِي ۖ وَإِذْ تُخْرِجُ الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِي ۖ وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِي

وقد أوردنا هذه الأمثلة لنقول إنَّ الإنسان قد يؤلف الموسيقى لما فيها من تقليد لصوت الطيور أو لعناصر الطبيعة، كي تساهم في تحسين المزاج، والترويح عن النفوس، فالتأليف هو نوع من الخَلْق، وقد يكون بعض نتاج هذا ما تستحسنهُ الآذان أو تفرّ منه، فبعض الأصوات مُنكرة، وقد أورد تعالى على ذلك مثالاً في صوت الحمير[160]، أي أنَّ هناك أصوات مُستحسنة وغير منكرة سواء كانت بشريَّة أو حيوانيَّة، أو من صنع الإنسان عبر العزف على الآلات، وتشكيل الألحان، سواء كانت هذه الآلات نفخية أو وترية أو قرعية أو غيرها من الآلات الالكترونية اليوم.

إِسْرَائِيلَ عَنكَ إِذْ جِئْتَهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ إِنْ هَٰذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ (المائدة – الآية 110).

[160] وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاغْضُضْ مِن صَوْتِكَ ۚ إِنَّ أَنكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ (لقمان – الآية 19).

وهناك إشارات من الأحاديث المنسوبة للنبي العظيم إلى "مزامير داوود" كدليل لحُسن الصوت عند بعض من كان حوله[161].

لا تحريم للتَّماثيل

ربما تكون التماثيل وإقامتها وخصوصاً ما كان منها على شكل البشر أو الحيوان من أكثر القضايا التي أثارت الجدل بين الفُقهاء منذ القدم وإلى اليوم، ومعظمهم أفتوا بتحريم إقامتها أو صُنعها، واستدلوا على ذلك بأنَّها قد تكون منفذاً للفِتنة وللعبادة، وكما أسلفنا من قبل فإنَّ منهجنا يقوم على أنَّ التَّحريم المُطلق فيما لم يرد في النص القرآني مسألة في غاية الخُطورة، وأنَّ الأصل في الأشياء الإباحة، أما مقدار خطرها المعنوي أو المادي على المجتمع فإنَّه يتحدَّد بطريقة استخدامها، وغايات توظيفها، ومن ذلك التماثيل، فلم تعد

---

[161] حَدَّثَنا مُحَمَّدُ بْنُ خَلَفٍ أبُو بَكْرٍ، حَدَّثَنا أبُو يَحْيى الحِمّانِيُّ، حَدَّثَنا بُرَيْدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أبِي بُرْدَةَ، عَنْ جَدِّهِ أبِي بُرْدَةَ، عَنْ أبِي مُوسى ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قالَ لَهُ: يا أبا مُوسى لَقَدْ أُوتِيتَ مِزْمارًا مِن مَزامِيرِ آلِ داوُدَ. (٥٠٤٨) صحيح البخاري.

تُقام لغايات العبادة، على الأقل بالنسبة للمُسلمين الموحّدين في كلّ طوائفهم، بل لغايات جماليَّة غالباً، وهذا ما لا نرى فيه غضاضة، بل إنّ نبيّ الله سليمان قد سخّر الجّان لعمل التماثيل[162]، ومن المؤكد أنّ أنبياء الله معصومون ولا ينطقون عن الهوى، ولا يمكن لهم أن يعصوا الله ويشجعوا على عمل شيءٍ مُحرّم.

إنَّ الفكرة المُسيطرة على عقول الفُقهاء والمفسّرين والنَّاقلين لهم دون تمحيص هي الخوف على المجتمع المسلم من الانغماس في العودة إلى عبادة الأصنام وتأليه الأوثان أو التقرّب إليها، وهذا كما أسلفنا خوف غير مشروع لأنَّ التوحيد مسألة أساسية في عقيدة المسلم، لهذا يمكن للتماثيل سواء كانت حجرية أو من المعادن أو غيرها من التشكيلات والنصب، أو على شكل بشري أو حيواني أو غير ذلك أن تُقام في الميادين أو في المعارض المتخصّصة ما لم تحتوي على عُريّ يُشجع على على إثارة الغرائز، أو قبحٍ يُنفّر النفوس، أو إشارات تثير

---

[162] يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِن مَّحَارِيبَ وَتَمَاثِيلَ وَجِفَانٍ كَالْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَّاسِيَاتٍ ۚ اعْمَلُوا آلَ دَاوُودَ شُكْرًا ۚ وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ (سبإ – الآية 13).

النّعرات، وتوقظ الفتن، وتسعى لزعزعة سكينة المجتمع، وهذا أمر يستطيع أن يقرره ولي الأمر أو الحاكم، ويُردّ إلى قوانين البلد المعمول بها.

تعريف بصاحب المنْهج

الشيخ النيّل عبدالقادر أبو قرون

ولد الشيخ النيّل عبدالقادر أبوقرون، وهو من نسل النبيّ محمد صلى الله وبارك عليه ووالديه وآله، في قرية أبوقرون بالسودان عام 1947 ، موطن المؤسَّسة الصُّوفيّة التَّقليدية لجدّه الشَّهير الشَّيخ محمَّد أبوقرون. كان والده الشَّيخ عبد القادر "الجيلي" داعياً بحاله ومقاله وأفعاله لمحبّة النبي العظيم وعترته الطاهرة، ومصلحاً فريداً لمكارم الأخلاق إذ قام بتربية إبنه على النَّهل من هذه المحبَّة، والعيش على نهج الإسلام النَّقي.

تخرَّج الشيخ النيّل في جامعة الخرطوم عام 1970 بتخصّص القانون، وعمل بالجهاز القضائي السوداني لأكثر من عشر سنوات. وتقلّد منصب "قاضي في المحكمة العليا"، ووزيراً للشؤون القانونية برئاسة الجمهورية.

في أوائل سبعينيات القرن العشرين، كتب المؤلف كتابه الأول: "الصراط المستقيم"، وهو عبارة عن سرد شامل مختصر في معرفة الله سبحانه وقواعد الدين الإسلامي. منذ ذلك الحين، أكمل المؤلف سلسلة من الكتب حول مراجعة الفكر الإسلامي وتنقيته من النصوص التي تسيء لأصحابها بوقوعهم في القدر الشريف لسيّد الأنبياء والمرسلين، وكذلك تنقية الموروث الديني لأنبياء الإسلام عليهم السلام من التحريف الذي أحدثه أتباع تلك الرسالات مستخدما منهجيته الصارمة غير المسبوقة في البحث ومعالجة النصوص. وشمل ذلك معاييره للتحقق من صحّة الأحاديث النبوية (السنة) ومنهج التدبّر والترتيل لفهم القرآن الكريم، أي التفكّر في دلالات آية قرآنية على ضوء النصوص القرآنية الأخرى ذات الصلة مع النظر في السياقات الجغرافية والتاريخية لتلك الآية.

الإصدارات:

1- كلية الإنسان، المؤسَّسة العربية للدراسات والنشر، بيروت 2012.

2- في رحاب الرسالة (إنجليزي)، Pub. Outskirts Press, Inc. 2009; and by Xlibris (2016).

3- مراجعات في الفكر الإسلامي 1 و2 . المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت 2014

4- الإسلام والدولة، المؤسَّسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، الطبعة الأولى 2011، والثانية 2015.

5- نبيٌّ من بلاد السودان. المؤسَّسة العربيَّة للدراسات والنشر، بيروت. الطبعة الأولى 2011، والثانية 2015.

6- الإيمان بمحمد. المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت 2012.

7- شفاء الذمم من إتّهامات المسلمين للنبي الأعظم. المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت 2013 Published in English by Matador, London (2016), and by Xlibris (2018).

8- بوارق الحب. الأعمال الشعرية في مدح خير البرية. المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت 2104.

9- إتهامات المفسّرين لسيّد المرسلين. المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت 2016.

10- جوهر الحياة. المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت 2018.

11- بنو إسرائيل في أرض كوش – أونيكس للتواصل الفكري – بريطانيا بالتعاون مع المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت. 2019

12- انقلاب المسلمين على رسالة خاتم النبيّين، أونيكس للتواصل الفكري – بريطانيا بالتعاون مع المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت 2020